مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ/ فبراير ٢٠٢٢م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

الجزء الثاني

موضوعات العدد:

- سُنَنُ اللهِ في قصةِ موسى وبني إسرائيل في القرآن الكريم
  د. صالح بن شيبان الثُّبيتان
- الإعراضُ عن اللغو من صفات أهل الفلاح
  قال تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون) سورة المؤمنون ٣
  د. رُقيَّة بنت محمد سالم باقيس
- توجيهُ وقوفِ العلامة الهَبَطِيّ (ت ٩٣٠هـ) التي ردَّها الشيخُ العُمَيْرِيُّ (ت ١٤١٣هـ)
  د. طلال بن أحمد بن علي بن محمد
- التناسبُ بين سورتي التكاثر والعصر وأثره النفسي والتربوي
  أ. د. أمل إسماعيل صالح صالح
- الإيحاءُ البلاغيُّ لـ "ها" التنبيه إثباتًا وإسقاطًا من اسم الإشارة "أولاء" الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم
  أ. د. أحمد محمد محمود سعيد
- تقريرُ رسالة علمية بعنوان:
  أثر تدبر القرآن في تعزيز المسؤولية المهنية لدى الداعيات: دراسة ميدانية على معلمات القرآن الكريم بمدينة الرياض
  أ. رانية محمد علي الكيني
- تقريرٌ عن مشروع علمي قرآني بعنوان: مؤسسة جياة لتدبر القرآن الكريم

مجلة تدبر

الإيحاءُ البلاغيُّ لـ "ها" التَّنبيهِ إثباتًا وإسقاطًا من اسمِ الإشارةِ "أُولاءِ" الواقعِ بعدَ الضَّميرِ في الذِّكرِ الحكيمِ

أ.د. أحمد محمد محمود سعيد

أستاذ البلاغة والنقد في جامعتي طيبة بالمدينة المنورة، والأزهر الشريف بمصر

قدم للنشر في: ١٤٤٢/٩/٦
قبل للنشر في: ١٤٤٣/١١/١
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

- حصل على درجة الماجستير في اللغة العربية ـ البلاغة والنقد ـ من كلية اللغة العربية بالقاهرة/ جامعة الأزهر الشريف، بأطروحته: (شعر عبيد بن الأبرص- دراسةً بلاغيةً نقديةً).
- حصل على درجة الدكتوراه في اللغة العربية ـ البلاغة والنقد ـ من كلية اللغة العربية بالقاهرة/ جامعة الأزهر الشريف، بأطروحته: (من بلاغة القيود والمتعلِّقات في الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم).

النتاج العلمي:

- (من وجوه الإعجاز النظميّ في آيات الإنس والجنّ ـ التقديم والتأخير) بحث منشور في حوليّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ فرع جامعة الأزهر ـ بدسوق
- (من أسرار التعبير بالاسم الظاهر في موضع الضمير في الحديث النبويّ الشريف ـ دراسة تطبيقية لإحدى صور مخالفة مقتضى الظاهر في صحيح مسلم).
- (الإيحاء البلاغيّ وأثره النفسيّ في تحقيق الغرض الشرعيّ لآيات الربا) بحثٌ منشور في حوليّة كلية الدراسات الإسلامية والعربية/ فرع جامعة الأزهر ـ بدسوق.
- (من وجوه الملاءمة بين المقال والمقام في وصفَيِ العذاب « المهين والأليم « في الذكر الحكيم) بحثٌ منشور في مجلة قطاع كليات اللغة العربية والأقسام المناظرة لها ـ جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة.

البريد الشبكي d.ahmed201664@yahoo.com

المُسْتَخْلَص

موضوع البحث: الإِيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ «هَا» التَّنْبِيهِ إِثْبَاتًا وإِسْقَاطًا من اسم الإشارة «أُولَاءِ» الوَاقِعِ بَعْدَ الضَّمِيرِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

أهداف البحث: الكشف عن الأسرار واللطائف الكامنة وراء تلك المخالفة الأسلوبية الصريحة من إثبات الهاء وإسقاطها من اسم الإشارة «أولاء» في الذِّكْر الحَكيم.

منهج البحث: يترسَّم البحث منهجَ «**نظرية النظم**» التي نادىٰ بها الإمام عبد القاهر الجرجاني نهجًا أصيلًا لمدارسة الذِّكْر الحَكيم بخاصة ودراسة التراكيب العربية الأصيلة بعامَّة، فهو المنهج الفني الوصفي الذي يسائل خصوصيات التراكيب دقيقها وجليلها؛ ليضع اليد علىٰ مكامن الأسرار قدرَ الطاقة.

◆ وأبرز نتائجه أن:

- «**التنبيه**» بمعناه اللغويِّ الحرْفِيِّ -المُشعر بغفلة المخاطَب- **يُعدُّ أضيقَ دلالات** الـ «**ها**»، إذ وردت الـ «**ها**» مُفْعَمة بلطائف متكاثفة، وغنيَّة بإشارات متكاثرة -كاللوم والزجر وفضح الأحاسيس المستكنَّة، وكشف خبايا النفوس المستورة... إلخ- مما يمدُّ السياقَ بزَخَم هائلٍ من المعاني البارعة في مطابقة المقام ودعم السياق لتحقيق الغرض.
- «**ها**» التنبيه قد أُثبتت في اسم الإشارة «**أولاء**» الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم حيث يفضح السياقُ **ضوضاءَ الحِجَاج** الباطل، ويعالج **ضجيجَ الجدال** الخاطئ، أو يكشف **خطايا السلوك** الذميم.

● «ها» التنبيه قد أُسقِطت من اسم الإشارة «**أولاء**» الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم لتصوير **المواءمة الآثمة، وفضْح المواددة** الخاطئة، وتصوير ذلك الشعور المكنون الخاطئ، وما يقتضيه من **العتاب** واللوم.

● «**ها**» التنبيه أسقِطت من الإشارة «**أولاء**» الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم في مقام **الخجل، وتقديم الاعتذار** واسترضاءِ المخاطب؛ إقرارًا بالخطأ، وتلطُّفًا في التهوين من حجمه، وإبداءً لحُسن النية في اقترافه.

كلمات مفتاحية: «**ها**» **التنبيه، اسم الإشارة «أولاء»، الضمير، الإيحاء البلاغي.**

Rhetoric Inspiration of Mentioned & Omitted "Ha" in "Aowlae" After Pronouns in the Holy Quran

Prepared by
PROF Dr. Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed
Professor of Rhetoric & Criticism
Department of Arabic Language & Humanities
Taibah University
d.ahmed201664@yahoo.com

Abstract

Study Subject: Rhetorical Inspiration of the Alert "Ha" in Cases of Stating and Omitting from the Reference Noun "Awoalae" Coming After the Pronoun in the Holy Quran.

Research Objectives: Revealing the secrets and fine meanings behind that such explicit variation of stating and omitting the "ha" in different cases.

Research Methodology: The research adopts the "Structure Theory" approach called by Imam Abdul Qaher Al-Jurjani as an original approach to study the Holy Quran in particular and the study of authentic Arabic structures in general. Structure Theory Approach is the descriptive method questioning the formations features from the finest to the most significant to discover the secrets as possible.

The research most prominent findings are:

• Warning in its literal meaning – suggesting that the addressee does not care – is one of the narrowest meanings of "Ha" as it cam

full of coherent meanings and rich of many references such as blame, warning, and exposing hidden feelings, discovering the souls hidden emotions, etc. supplying the context with huge amount of brilliant meanings in matching the situation, and support the context toa chive the purpose.

• Warning "Ha" was mentioned in the referring noun "Aow-lae" as the context expresses the noise of false argument, deals with wrong argument, or discovers the sins of misbehavior.

• Warning "Ha" was omitted from the referring noun "Aow-lae" as to shape the sinful harmony, expresses the bad friendship, and visualize the hidden feeling and what it demands of blame and admonition.

• "Ha" was omitted Warning from the referring noun "Aowlae" in the context of shame, apology, satisfy the addressee, confess with fault, reduce fault, and express good faith in committing such fault.

Keywords: Warning "Ha" , "Hawolae" Noun, Pronoun, Rhet-oric Inspiration

المُقَدِّمَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام علىٰ رُسُل الله أجمعين، وعلىٰ إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومَن تبِعَه إلىٰ يوم الدين.. آمين.

أما بعد، فإن القرآن الكريم لم يزل -ولن يزال- الينبوعَ البلاغيَّ الثَّرَّ، القائم الدائم لكل واردٍ يقصد الرواء الأعذب؛ يروي غلَّته اللغويةَ ويُمتِع ذائقتَه البلاغية، كما أنه سيبقىٰ الغذاء الرُّوحيَّ الأقومَ والأدوم لكل موحِّد مُوَفَّق؛ يرجو إقامةَ حياتَيه العقدية والشرعية.

ولقد لفتني منذ زمان -ليس بالقصير- ما لاح لي من (الإيحاء البلاغيِّ لـ«**ها**» التنبيه مع اسم الإشارة «**أولاء**» في الذِّكْر الحَكيم «**إثباتًا وإسقاطًا**»)، وبخاصَّة في تلك المواضع المحدودة المسبوقة بضمير الجماعة -خطابًا كان «أنتم»، أو غَيْبةً «هم»-؛ فتلك هي التي تستثير الذائقةَ اللغوية، ويتجلَّىٰ فيها التبايُنُ بين ذِكر «**ها**» التنبيه وتكرارها قبل اسم الإشارة «**أولاء**» أو عدم تكرارها أو عدم ذكرها أصلًا.

فأحيانًا تأتي «**ها**» التنبيه مكرَّرة في السياق المباشر علىٰ هذا النحو: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، وأحيانًا أخرىٰ تدخل علىٰ الضمير وتحذف من اسم الإشارة «**أولاء**» علىٰ هذا النحو: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾، وأحيانًا لا تأتي في سياق الإشارة «**أولاء**» أصلًا، علىٰ هذا النحو: ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾.

والنمط الأغلب في الآيات محلِّ البحث من حيث دخول «ها» التنبيه علىٰ اسم الإشارة -«أولاء» المسبوق بالضمير- هو ما تكررتْ فيه مرتين: فدخلت علىٰ ضمير الرفع المنفصل لجماعة المخاطبين: «أنتم»، ثم دخلت بعده مباشرة علىٰ اسم إشارة جماعة القريبين: «أولاء» هكذا: (هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ)، حيث ورد ذلك في ثلاثة مواضع من شواهد البحث الستة، فهذا النمط يمثل نصف شواهد البحث، وغابت «ها» التنبيه عن السياق تمامًا في آية واحدة من آيات الدراسة، هي: (قال هُمْ أُولَاءِ علىٰ أثري).

وجاءت «ها» التنبيه مرة واحدة -غير مكررة- في آيتين من آيات الدراسة، داخلة علىٰ الضمير دون الإشارة هكذا: (هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ)، ودخلت علىٰ الإشارة دون الضمير مرة، هكذا: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ).

وكان ذلك التغاير -في الأسلوب المتقارب والسياق المتشابه- ما لفتني إلىٰ البحث عن أسرار «ها» التنبيه فيها جميعًا- إثباتًا حيث أُثبتت في الإشارة وإسقاطًا حيث أُسقطت منها، والوقوف علىٰ أغراضها في كلٍّ، ولِثقتي أن وراء ذلك التغاير أغراضًا وأسرارًا تليق بعظمة الذِّكْر الحَكيم كتبتُ هذا البحثَ المتواضع.

وقد تَقيَّد البحث بـ«ها» الداخلة علىٰ الإشارة «أولاء» بخاصة المسبوق بالضمير للاختلاف الواضح بين أنماطه، ولبيان أسرارها البلاغية وإشاراتها المتناغمة المتآزرة مع السياق، وأحسب أنه قد ظهر لي من وجوه الحكمة البيانية في ذلك ما يستوجب التدوين والتنبيهَ إليه، وكان ذلك من أبرز أسباب البحث ودوافعه كذلك.

منهج البحث:

ويتمثل البحثُ **نظريةَ النظم** التي أثبت الإمامُ عبد القاهر بالتحليل والتفصيل أنها المنهجُ الأقوم للنظر في بلاغة الذِّكْر الحَكيم خصوصًا، وللنظر في كل كلام بليغ عمومًا، تلك النظرية التي تُراعي جميعَ ما يخدم المقام والغرض من حيثيات تعتبر في السياق، سواءٌ في ذلك حيثيات السياق المباشر الأقرب والممتدِّ الأبعد، وتغوص علىٰ دلالات التراكيب، سواء في ذلك إيحاءات الصيغة الصرفية الأصغر، وعطاءات علاقات الكلمات في التركيب الأكبر، وتتتبع الأثر النفسي للخصيصة اللغوية، وتجدُّ في استخراج إيحاءاتِها؛ لتُمتع الأذواقَ، وتَنشر مما في القرآن الكريم من وجوه إعجازه البلاغي ما أمكن الباحثَ ذلك.

خطة البحث:

ونظرًا لطبيعة البحث فإنه يأتي في مبحثين، تسبقهما مقدمة، وتمهيد، وتلحقهما خاتمة، وفهارس علىٰ النحو التالي:

المقدمـــة: وفيها نُبْذة عن أهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطة التصنيف.

التمهيـــد: وفيه بيان مفهوم «**التنبيه**»، و«**ها**» التنبيه، وأغراضه، وموضعه في اللسان العربي.

المبحـــث الأول: الإيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ«ها» التَّنْبِيه **إِثْبَاتًا** في اسم الإشارة «**أُولَاءِ**» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم.

المبحث الثـاني: الإيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ «ها» التَّنْبِيه **إسقاطًا** مِن اسم الإشارة «**أُولَاءِ**» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم.

الخاتمـــة: وفيها أهم الملحوظات والنتائج التي تَمخَّض عنها البحثُ.

ثم فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

واللهَ تعالىٰ أسأل أن يكون سبحانه من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

التمهيـد

مفهومُ التنبيه، وهاؤه، وأغراضه، وموضعه في التراكيب العربية

أولًا: مفهوم «التنبيه»: «التنبيه: هو إعلام ما في ضمير المتكلم للمخاطَب من (نبَّهْته) بمعنىٰ رفعته من الخمول، أو من (نبهته من نومه) بمعنىٰ أيقظته من نوم الغفلة، أو من (نبهته علىٰ الشيء) بمعنىٰ وقفْته عليه»(١)، يقال: «نبَّهه من نومه: أي أيقظه، ونبَّهه علىٰ الشيء: إذا أشار إليه بمعنًىٰ يفهمُهُ»(٢).

وحروف التنبيه في العربية ثلاثة: «**أَلَا، وأَمَا، وهَا**»(٣)، و«معناها تنبيهُ المخاطب علىٰ ما تُحدِّثه به، فإذا قلت: هذا عبد الله منطلقًا، فالتقدير: انظر إليه منطلقًا، أو انْتَبِهْ عليه منطلقًا. فأنت تُنبه المخاطب لعبد الله في حال انطلاقه، فلا بد من ذكرِ «منطلقًا»؛ لأن الفائدة به تنعقد، ولم تُرِد أن تُعرِّفه إياه، وهو يُقدِّر أنَّه يجهله، كما تقول: «هذا عبد الله». وتقول: «ها إنَّ عبد الله منطلقٌ»، و«ها افعل كذا»، كأنَّه

(١) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسىٰ الحسيني: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ص٥١٦، ت. عدنان درويش – محمد المصري ط. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

(٢) اليمني، نشوان بن سعيد الحميري (المتوفىٰ: ٥٧٣هـ): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ص٦٤٧٤، ت. د/ حسين بن عبد الله العمري، وآخرين. ط.١ دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية) ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ): المفصل في صنعة الإعراب ١/ ٤٠٩، ت. د. علي بو ملحم، ط.١ مكتبة الهلال– بيروت ١٩٩٣.

تنبيه المخاطِب للمُخبَر أو المأمورِ»[(١)].

ثانيًا: «**ها**» **التَّنْبِيه**: حرف واحد هكذا «هَـ» بدون ألف، فإذا دخل علىٰ كلمة مبدوءة بـ«هـ» زيدت فيه ألف، فـ«إذا قيل: هَا هُوَ ذَا، كُتب حرف التَّنْبِيه بِإِثْبَات الْألف لِئَلَّا يبْقىٰ علىٰ حرف وَاحِد»[(٢)]، وإن دخل كلمةً غير مبدوءة بـ«هـ» لا تُزَد الألف مثل: هأنذا، هذا، هؤلاء...إلخ.

وقد اشتهرت تلك الأداة من أدوات التنبيه بـ«**ها التنبيه**» هكذا بقصر ألف «**ها**»، وقلَّما وردت في كتب التراث بالمد هكذا: «**هاء**»[(٣)]، كما قلَّ أن تُنسَب أو توصف بـ«**التنبيهيَّة**»[(٤)]، وإن كان قد ورد.

والغرض الأساس لـ«ها» التَّنْبِيه «**تنبيهُ المخاطب علىٰ ما تُحدِّثه به**»[(٥)]. و«تنبيه المخاطب علىٰ **حضور المشار إليه** وقربِه، والمبالغة في **إيضاحه**، فيقال:

---

(١) ابن يعيش الموصلي، يعيش بن علي بن يعيش (المتوفىٰ: ٦٤٣هـ): شرح المفصل ٥/ ٤٣، تقديم الدكتور إميل بديع يعقوب. ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) الحريري البصري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان (المتوفىٰ: ٥١٦هـ): درة الغواص في أوهام الخواص ١/ ٩٧، ت. عرفات مطرجي. ط.١ مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨هـ.

(٣) ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصري (المتوفىٰ: ٧٧٨ هـ): شرح التسهيل المسمىٰ «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» ١/ ٢٤٤، ت. أ. د. علي محمد فاخر وآخرون، ط.١ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية ١٤٢٨هـ.

(٤) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي محب الدين (المتوفىٰ: ٦١٦هـ): إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي ١/ ٤١، ت. د/ عبد الحميد هنداوي. ط.١ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- مصر/ القاهرة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ٥/ ٤٢.

هذا أخي، وهؤلاء أصدقاؤنا»[(١)].

وقد ذكر المراديُّ أن «**معناها -أي المعنِيُّ بها-: التنبيهُ علىٰ الحضِّ**»[(٢)]، وقد يؤتَىٰ بها **لسلامة الأسلوب وقبولِه**، «وَالْعربُ تُكْثر الْإِشَارَة والتنبيهَ **فِيمَا تقصد بِهِ التفخيم**»[(٣)].

وسر دخولها علىٰ أسماء الإشارة أنها «لمَّا كانت مبهمة تصلح لكلِّ حاضر من حيوان وجماد، زيد عليها حرف **التنبيه تقويةً علىٰ تعيين ذلك المشار إليه**، بخلاف: ها أنت، فإنه لا يكون إلَّا للمخاطب، فلا يحتاج إلىٰ التنبيه كما يحتاجه المبهم»[(٤)].

ثالثًا: موضع التنبيه: «أكثر ما تدخل (**ها**) علىٰ أسماء **الإشارة والضمائر**، كقولك: هذا، وهذه، وها أنا ذا، وها هو- وها أنت ذا، وها هي ذه، وما أشبه ذلك»[(٥)]، و«إنما يؤتَىٰ به **أوَّلَ الكلام**، ولا يؤتىٰ به عَجُزَه»[(٦)].

---

(١) السامرائي، د. فاضل صالح: معاني النحو ١/ ٩٣، ط.١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

(٢) المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي (المتوفىٰ: ٧٤٩هـ): الجنىٰ الداني في حروف المعاني ١/ ٣٥٤، ت. د فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

(٣) الحريري البصري، درة الغواص ١/ ٩٧.

(٤) ابن أيوب، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفىٰ: ٧٣٢هـ): الكناش في فني النحو والصرف ٢/ ١٠٧، ت. الدكتور رياض بن حسن الخوام. ط. المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان. د، ت.

(٥) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب ١/ ٤١١.

(٦) شرح التسهيل المسمىٰ «تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد» ٩/ ٤٤٩٢.

وقيل: «لَمْ يُسْمَعْ دُخُولُ (هَا) التَّنْبِيهِ عَلَىٰ اسْمٍ غَيْرِ اسْمِ الْإِشَارَةِ، كَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ «مُغْنِي اللَّبِيبِ»، بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ (هَا) التَّنْبِيهِ الْمَذْكُورَةَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ هِيَ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَىٰ أَسْمَاءِ الْإِشَارَةِ فِي نَحْوِ: هَذَا وَهَؤُلَاءِ، وَأَنَّ الضَّمِيرَ الَّذِي يُذْكَرُ بَعْدَهَا فَصَلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اسْمِ الْإِشَارَةِ»(١).

وقد زاد النحاة «**ها**» التنبيه تخصيصًا فقالوا بدخولها علىٰ «أسماءِ الإشارةِ الدَّالةِ علىٰ **القريب**، نحو: هذا، وهذه، وهذَين، وهاتَينِ، وهؤلاء، أو علىٰ **المتوسطِ** إن كان مُفردًا، نحو: هذاكَ، أمَّا علىٰ البعيدِ فلا»(٢). فلا يقال: هذالك- بلام البُعد.

ورأىٰ بعضهم أنه «يجوز الفصلُ بينهما (الهاء واسم الإشارة) بكافِ التشبيهِ، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]، وبالضميرِ المرفوعِ، كقولهِ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ﴾، وإن دخلت علىٰ ضمير الرفع فالأكثرُ أن يَليَهُ اسمُ الإشارةِ، نحو: (ها أنا ذا، ها نحنُ أُولاءِ، **ها أنتم أُولاءِ**)(٣)، ولم يذكروا لذلك أسرارًا تَروي الغُلَّةَ، وبيانُ ذلك مهمَّةُ هذا البحث وبُغيتُه إن شاء الله تعالىٰ.

وقد نقل الزجَّاج عن بعض النحويين أن «العرب إذا جاءَت إلىٰ اسمٍ مكنيٍّ -أي مكنيٍّ عنه بالضمير- قد وُصف بـ(**هذا**) -أي باسم الإشارة (**ذا**)- جعلته بين

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفي: ١٣٩٣هـ) التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ٢٦ / ١٣٧ ط. الدار التونسية للنشر- تونس١٩٨٤هـ.

(٢) الغلاييني، مصطفىٰ بن محمد سليم (المتوفىٰ: ١٣٦٤هـ): جامع الدروس العربية ٣/ ٢٦١ ط.٢٨ المكتبة العصرية، صيدا- بيروت ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

(٣) السابق.

(ها) و(ذا)، فيقول القائل: أين أنت؟ فيقول المجيب: **هأنذا**، قال: وذلك إذا أرادوا جهة **التقريب**، قال: فإنما فعلوا ذلك ليفصلوا بين التقريب وغيره. و**معنىٰ التقريب** عنده: أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول: هذا زيد[(١)]. والقول في هذا عندنا أن الاستعمال في المضمر أكثر فقط، أعني أن يفصل بين (**ها**) و (**ذا**)؛ لأن «**التنبيه**» أنْ يَلِيَ المضْمَرَ أبْيَنُ.

فإن قال قائل: ها زيد ذا، وهذا زيد، جاز، لا اختلَافَ بين الناس في ذلك، وهذا عندنا علىٰ ضربين: جائز أن يكون (**أولاء**) -أي في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ﴾- في معنىٰ الذين، كأنه قيل: ها أنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم، وجائز أن يكون (**تحبونهم**) منصوبة علىٰ الحال و(**أنتم**) ابتداء، و(**أولاءِ**) الخبر، والمعنىٰ: انظروا إلىٰ أنفسكم مُحِبِّين لهم. نُهُوا في حال محبتهم إياهم»[(٢)].

وقيل: «المشهور في الاستعمال العربي لـ«**هَا**» التنبيه الداخلة علىٰ الضمير أن يكون الخبر اسمَ إشارة، فلا يجوز: ها أنا أفعل المطلوب مني، بل: **هأنذا** أفعل المطلوب مني، وجاء **إلىٰ جانب ذلك** العديد من الشواهد الواردة عن العرب التي جاء فيها الضمير مع «**ها**» التنبيه دون اسم إشارة، وقد اعتمد مجمع اللغة المصري علىٰ هذه الشواهد، فصحَّح هذا الاستعمال، ومن هذه الشواهد: قول الشاعِر: فها أنا أبكي والفؤاد قريح. ومن النثر قول خالد بن الوليد ﷺ: «ثم ها أنا أموت علىٰ فراشي»[(٣)].

---

(١) المكنىٰ بين «ها» و«ذا» إذا قرَّبوا الخبرَ فيقولون: «ها أنا ذا ألقىٰ فلانًا»، أي قد قَرُب لقائي إياه، وقد سماه الكوفيون تقريبًا. شرح درة الغواص في أوهام الخواص / ٣١٤.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٦٣.

(٣) عمر، الدكتور أحمد مختار- بمساعدة فريق عمل. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي ١/ ٧٧٣. ط.١ عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م بتصرُّف.

وقد سار البحث إلىٰ تحقيق غايتين متوازيتين:

أولاهما: إبراز دور «**ها**» التنبيه في تصوير واقع حال المخاطب، وكشف ما يضمره مما جاءت «**ها**» التنبيه مرآةً كاشفة عنه، وتحليل نفسيَّته الدفينة، وترجمة نيَّته المكنونة.

وثانيتهما: معالجته حال المخاطب، والطِّب لأمراض نفسه، وانتزاع ما فيها من شرور، وإحلال الخير المطلوب محل ما تترجمه الـ«**ها**» ما أمكن.

المبحث الأول:

الإِيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ «ها» التَّنْبِيه إِثْبَاتًا مَعَ اسم الإشارة «أُولَاءِ» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم

أُثبِتتْ «**ها**» التنبيه في أول اسم الإشارة «**أولاء**» المسبوق بضمير الرفع «**أنتم**» في الذِّكْر الحَكيم في **أربعة مواضع**، تأتي دراستها إن شاء الله تعالىٰ تباعًا بحسب ترتيبها في المصحف الشريف، وبإنعام النظر في سياقاتها المختلفة تتجلىٰ قوةُ الدَّور المنوط بتلك الـ«**ها**»، وتَبرز حتميتُها لمناغمة السياق في بثِّ المخاطبين دلالات معنوية وكشف إشارات نفسية تُفتقَد بإسقاطها.

وقبل الولوج إلىٰ تحليل مواضعها أذكِّر بأن لِنَبرة التنبيه إلىٰ الحال الواقعة بعد الإشارة وحِدَّته وقوته في التراكيب من حيث الترقِّي في استثارة المخاطب -كما قعَّده العلماء- مراتبَ ثلاثًا، تُبنَىٰ كلُّها علىٰ تمام أصل الخبر المنتهِي عند تمام الإشارة (ها أنا ذا)[1]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في قوله: «(**هَا أَنَا ذَا**) يَقُولُهُ الْمُتَكَلِّمُ لِمَنْ قَدْ **يَشُكُّ أَنَّهُ هُوَ**... وَإِلَّا أَتْبَعَ مِثْلَ ذَلِكَ التَّرْكِيبِ **بِجُمْلَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ الْحَالِ** الَّتِي اقْتَضَتْ ذَلِكَ الْإِخْبَارَ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ مَرَاتِبُ:

الْأُولَىٰ: ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ، **الثَّانِيَةُ**: هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ... **الثَّالِثَةُ**: هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ جادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا»[2].

(١) أثبتُّ الألف في كل من «ها» و«أنا» في كثير من مواضع البحث لإفراد كل منها وتمييزه قاصدًا عامدًا.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٥٨٦.

يعني بذلك التصنيف أنَّ جُمَل الحال: (تقتلون...، تحبونهم، جادلتم عنهم...) الزائدة علىٰ أصل الخبر في: (ثم أنتم هؤلاء، ها أنتم أولاء، ها أنتم هؤلاء)؛ قد زيدت علىٰ أصل الخبر صناعةً؛ لأن القصد ليس إلىٰ تنبيههم إلىٰ أنهم هم هؤلاء، وإنما الغرض يتخطىٰ ذلك إلىٰ تنبيههم إلىٰ ما هم عليه من حال غريبة عجيبة، محلِّ لوم وعتاب، تقتضي الزجر والتهديد.

وأصل هذا الكلام عند سيبويه حيث يقول: «وحدثنا يونس... أن العرب تقول: **(هذا أنت تقول كذا وكذا)**، لم يُرِد بقوله: **(هذا أنت)**، أن يعرِّفه نفسَه، كأنه يريد أن يعلمه أنه ليس غيرَه، هذا محال، ولكنه أراد أن ينبهه، كأنه قال: الحاضرُ عندنا أنت، والحاضر القائل كذا وكذا أنت. وإن شئت لم تُقدِّم **(ها)** في هذا الباب، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾»(١).

أُولىٰ مراتب التنبيه في كلام ابن عاشور أن تتأخر «ها» التنبيه عن الضمير لتدخل علىٰ الإشارة: **(ثم أنتم هؤلاء)**، ثم أن تتقدم علىٰ الضمير مفارقة الإشارة: **(هَا أَنْتُمْ أُولاءِ)**، ثم أن تُكرَّر مع الإشارة بعد سبْق دخولها علىٰ الضمير: **(هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ)**، وهذا تخريج علم النحو، أما البلاغة فلها ذوقها الخاص، الذي يتخطىٰ إلىٰ بيان ما يليق ببلاغة الذِّكْر الحَكيم، وتحليل المواضع يُبين عن بعض ذلك –قدر الطاقة– إن شاء الله تعالىٰ. فإلىٰ:

◆ ◆ ◆

(١) ابن قنبر، عمرو بن عثمان الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفىٰ: ١٨٠هـ): الكتاب ٢/ ٢٥٤، ت. عبد السلام محمد هارون. ط.٣ مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

◆ الموضع الأول: يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٤-٨٥].

الخطاب في الآيات الكريمات ليهود المدينة المعاصِرين لبعثة الحبيب ﷺ، وقيل: «لَا يَحْتَمِلُ -المقامُ- رَدَّهُ إِلَىٰ الْأَسْلَافِ»[1]، والخطاب يذكِّرهم بالميثاق المأخوذ عليهم في كتابهم، وبالإقرار الصادر منهم بحقِّ ذلك الميثاق، ويَنعَىٰ عليهم نقضَهم إياه، ويُعدِّد عليهم خطاياهم بالخصوص، ويُزري بهم وعليهم لارتكابهم أفظعها شناعة -وهو تناقضهم في السلوك -كما يأتي بيانه بعدُ إن شاء الله تعالىٰ-.

روىٰ ابن جرير الطبري عن السُّدِّيِّ «قال: إن الله أخذ علىٰ بني إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضُهم بعضًا، وأيُّما عبد أو أمة وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه بما قام ثمنُه فأعتقوه. فكانت قريظة حلفاءَ الأوس، والنضيرُ حلفاءَ الخزرج، فكانوا يقتتلون في حرب سُمَيْرٍ فيقاتل بنو قريظة مع حلفائها النضيرَ وحلفاءها، وكانت النضير تقاتل قريظةَ وحلفاءها، فيغلبونهم، فيخربون بيوتهم، ويخرجونهم منها، فإذا

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩، ت. أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط.٢ دار الكتب المصرية- القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

أُسِر الرجلُ من الفريقين كليهما، جَمعوا له حتىٰ يَفدوه، فتُعَيِّرهم العرب بذلك، ويقولون: كيف تقاتلونهم وتَفدونهم؟ قالوا: إنا أُمِرنا أن نفديهم، وحُرِّم علينا قتالهم. قالوا: فلِم تقاتلونهم؟ قالوا: إنا نستحيي أن تُستذَل حلفاؤنا. فذلك حين عيَّرهم جلَّ وعزَّ فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾»[(١)].

والخلاصة: أن «الله تعالىٰ أخذ عليهم أربعة عهود: تَرْكَ القتل، وترْك الإخراج، وترك المظاهرة عليهم مع أعدائهم، وفداءَ أُسَرائهم. فأعرضوا عن كل ما أمروا إلَّا الفداء. فقال الله ﷻ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فإيمانهم بالفداء، وكفرهم بالقتل والإخراج والمظاهرة. قال مجاهد: يقول: إن وجدتَه في يد غيرك فديتَه، وأنت تقتلُه بيدك؟؟ وقيل: معناه يستعملون البعض ويتركون البعض، تفادون أسراء قبيلتكم وتتركون أسراء أهل ملَّتكم فلا تفادونهم»[(٢)]. فـ «أَنَّبَهُمُ اللهُ مِنْ فِعْلِهِمْ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فدَاء أَسْرَاهُمْ»[(٣)].

ومن اللافت في الشاهد: (**ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ**) إشكال الصياغة، وذِكر «**ها**» التنبيه

---

(١) الطبري، جامع البيان ٢/ ٣٠٧.

(٢) الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١/ ٢٣١، ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، ط.١ دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٨، ت. سامي بن محمد سلامة. ط.٢ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

الداخلة علىٰ الإشارة «**أولاء**»؛ أما إشكال الصياغة فـ«لأن قوله: (**أَنْتُمْ**) للمخاطبين الحاضرين و(**هؤُلاءِ**) لِلْغَائِبِينَ. فَكَيْفَ يَكُونُ الْحَاضِرُ نَفْسَ الْغَائِبِ، وَجَوَابُهُ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: تَقْدِيرُهُ ثُمَّ أَنْتُمْ يَا هَؤُلَاءِ، وَثَانِيهَا: تَقْدِيرُهُ ثُمَّ أَنْتُمْ أَعْنِي هَؤُلَاءِ **الحاضرين**، وثالثها: أنه بمعنىٰ **الذين** وَصِلَتُهُ «**تَقْتُلُونَ**» وَمَوْضِعُ تَقْتُلُونَ رَفْعٌ إِذَا كَانَ خَبَرًا، وَلَا مَوْضِعَ لَهُ إِذَا كَانَ صِلَةً. قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمِثْلُهُ فِي الصِّلَةِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧] يَعْنِي وَمَا تِلْكَ الَّتِي بِيَمِينِكَ، وَرَابِعُهَا: هَؤُلَاءِ **تَأْكِيدٌ** لِأَنْتُمْ، وَالْخَبَرُ (**تَقْتُلُونَ**)»[(١)].

وهذه التأويلات مساغٌ لدخول ضمير جماعة المخاطبين «**أنتم**» علىٰ إشارة جماعة الغائبين «**أولاء**»، ولكلٍّ تقديرٍ وجاهتُه وجمالُ عطائه، ولنتجاوز ذلك إلىٰ اللافت الثاني -شاهد الدراسة- وهو «**ها**» التنبيه المثبَتة في اسم الإشارة الواقع بعد الضمير «**أنتم**».

والمقام مقام تعيير وتأنيب لليهود -كما سبق- وعن ابن عباس قال: «أنَّبهم الله [علىٰ ذلك] من فعلهم»[(٢)]، فـ«ها» التنبيه بِعِظم صوتها وامتلاء الفم بها فاعلة في خدمة المقام ومِلء السياق ودعم الغرض؛ ذلك أن صوت الـ«ها»- الممدودة مدًّا طبعيًّا، أو زائدًا -غيرَ لازم لوقوع همز «**أولاء**» بعدها- صوتَ الـ«ها» المطلقة بِدَفْق الهواء المنبعث من الجوف وبِعِظَم انفتاح الفم- ليُوحِي بِصبِّ جحيم الغضب

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٣/ ٥٩١. ط.٣ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤٢٠هـ.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٢/ ٣٠٣.

عليهم، وينذر بنزول السخط بهم؛ مما شأنه إثارة الذعر في النفوس ودعم التأنيب وتقرر التحذير، بما يحملهم علىٰ التراجع عن التمادي في الضلال.

والمقام مقام تنديدٍ بقتل، والقتلُ من أبشع جرائم البشرية عمومًا -وأفظعِ جرائم مَن ينتمي إلىٰ دين سماويٍّ خصوصًا-؛ لأنه إنهاء حياةٍ وهَبها الله تعالىٰ، فيجب ألا يتصرف فيها غيرُه سبحانه، فاقتضىٰ ذلك الجُرمُ تركيبًا يُبشِّعه، فجاء ذلك التركيب -النادر في الذِّكْر الحَكيم الذي لم يتكرر فيه-: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾، تركيبٌ مضغوط عامر، يبدأ بـ«**ثم**» التي تُفصح عن تراخٍ رُتبيٍّ ينطق بكثافة التوجيهات الربانية إليهم، وأخذ المواثيق التكليفية عليهم -وسيأتي لذلك مزيدُ بيانٍ قريبًا إن شاء الله تعالىٰ-، ثم يُتبعها بأعرف المعارف -الضمير المجابِه-: «**أنتم**»، وكأنه يقصر تلك الجريمة عليهم، وأنها خاصَّة أو كالخاصَّة بهم، ثم تَطْلُع عليهم «**ها**» التنبيه المرعِبة بصوتها ودَفْق هوائها، وبضوضائها وجلبتها، ثم يقذف بالإشارة إلىٰ غائبين: «**أولاء**»، فتَحدُث الصدمةُ بما يشبه الالتفات من مَهيع كلامي إلىٰ آخر.

وإلىٰ هنا يكون المخاطبون قد أُحْضِروا جيدًا نفسيًّا وذهنيًّا ووجدانيًّا، فإذا أَلقىٰ إليهم بفعل الملامة وجابههم بسلوك المذمة: «**تقتلون**» وقع عليهم كالصاعقة المرسلة، وأخذ عليهم أقطار أنفسهم، ولَفَّهم بالخزي ولفَّعهم بالصغار -والعياذ بالله تعالىٰ-.

وأعد العبارة بدون «**ها**» -في غير الذِّكْر الحَكيم طبعًا- لِتشعُر بفقدانها: **ثم أنتم أولاء تقتلون أنفسكم**؛ إسقاط الـ«**ها**» تشعر ببرود التركيب وفتور المقام الملتهب؛ لأن أجواء القتل المنصوص بعقب الإشارة لا يلائمه إسقاط الـ«**ها**»، وتصفية المقام من جلبتها وضجيجها المرعب المكافئ لبشاعة القتل وجرم ارتكابه، فالـ«**ها**» تملأ

الأجواء صَخبًا وسُخطًا ينهض كِفاء القتل ويقوم للزجر بإزائه.

وهل تُرَىٰ يكونُ مقامٌ أوجبَ للشدة والجلجلة والإرعاد والتهديد والتخويف والتبكيت وتحقيق عِظم الجرم علىٰ المخاطَب -أمام نفسه- من ذلك المقام؟! إن ضخامة صوت الـ«ها» تكافئ هوْل الخطيئة، وتتَّسق مع خطورتها؛ ولذلك يمكن تسمية «ها» التنبيه هنا **بالتهديديَّة المزلزِلة المجلجِلة** المرعبة لا مجرد المُنَبِّهة، فالـ«**التنبيه**» إذن أضعف من ذلك وأهدأ بمراحل، لأنها تصُبُّ عليهم الزجر والوعيد والتهديد صبًّا، أما مجرد التنبيه فيكون لمجرد لفت الانتباه، لا الإنكار والزجر والتعنيف وما إليها مما تسهم به الـ«ها» وتعاضد به السياق، وعلىٰ ذلك فوصفها بالتنبيهية هو وصف لها بأضعف دلالاتها؛ فـ«**التنبيه**» بمعناه الحَرفِيِّ يُعَد أضيقَ دلالات الـ«ها»، لأنها عامرة باللطائف غنيَّة بالإشارات التي تدعم تحقيق الأغراض، هكذا ينبغي أن يقال، وهكذا نتذوقها في الذِّكْر الحَكيم، والله أعلم.

وحين تتدبر هذا الأسلوب بإسقاط الـ«ها» تشعر باللطف بهم، وكأنه يوجه إلىٰ جواز الستر عليهم، والاعتذار عنهم -كما تجد ما هو من ذلك بسبيل جليًّا في الشاهد الثاني من المبحث الثاني كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ- مما يتناقض واعتباراتِ المقام والسياقَ والغرض هنا- كما ترىٰ-، لذا كان إثبات الـ«ها» هنا ضرورة محتومة بحيث لا تبتغِي بها بدلًا، ولا تجد عنها حِولًا، وسبحان من هذا كلامه!!

وقد قال ابن عاشور: «وَيُسْتَفَادُ مَعْنَىٰ التَّعَجُّبِ فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعِهِ مِنَ الْقَرِينَةِ»(١) أي أن التعجُّب يكاد يكون لازمًا لهذا الأسلوب التنبيهي، لما فيه من تناقضِ

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٥٨٧.

السلوك أو الاعتقاد الذي جاء بإزائه تناقضَ الخطاب (أنتم) والغَيبة (هؤلاء)، وكأن التركيب يَعجَب ويُعجِّب من حالهم المتناقض، إذ كيف يتأتىٰ لهم الجمع بين هذه المتناقضات؟! و«كيف يلتقي هذا العمل الطيب، مع العمل الرديء الذي سبقه؟ كيف يضربون إخوانهم بأيديهم ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم، وربما ويقتلونهم، ثم يعودون فيحررونهم من الرق، إذا أُسروا؟!»[(١)].

هذا، وقد عُني صاحب «معاني النحو» في «ها» التنبيه هنا ببيان غرض تقديمها وتأخيرها، ويرىٰ أن سبب تأخيرها في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ...﴾ عدمُ إرادة التحذير من شيء، بل أُخِّرت لمجرد فضحهم أمام أنفسهم، وتحقيق الجريمة عليهم «ليحضر أنفسهم أمام أعينهم هم؛ ليشهدوا أعمالهم وصفاتهم، أي: أنتم هؤلاء المشاهِدون الحاضرون، بصورتكم الواضحة البيِّنة التي لا تخفىٰ، فهو **لم يرد تحذيرهم من أمر**»[(٢)]، بينما في تقديم الـ«ها» في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ...﴾ «**تحذير لعباده المؤمنين** علىٰ ما هم فيه، وأنهم ينبغي لهم أن يحذروا وينتبهوا»[(٣)].

وأعتقد ألا فرق بهذا الاعتبار بين تقديم «ها» التنبيه وتأخيرها؛ لأن الغرض مع التأخير -أيضًا- ناظر إلىٰ تحقيق الخطيئة عليهم، ويمكن -بمقياسه- أن تنطبق عبارته في القوم السابقين علىٰ هؤلاء فيقال: أنتم هؤلاء المشاهِدون الحاضرون،

(١) الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفىٰ: بعد ١٣٩٠هـ): التفسير القرآني للقرآن ١/ ١٠٦ ط. دار الفكر العربي- القاهرة. د، ت.

(٢) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٨.

(٣) السابق.

بصورتكم الواضحة البينة التي لا تخفىٰ تضمرون محبة العدوِّ.. وكلاهما خطأ بمقياس اللغة؛ لأن هذا المعنىٰ إنما يقال حين يُكتفَىٰ بالضمير مع الإشارة، بغضِّ النظر عن تقديم الـ«ها» أو تأخيرها، بل بغض النظر عن وجودها في التركيب أصلًا، هكذا: «هأنذا -أو: أنا ذا- أو: أنا هذا» فقط دون التجاوز إلىٰ ذكر حالٍ.

وإنما يُجاب بذلك مَن يَبحث عنك أو يسأل: أين فلان، أما حين يتخطَّىٰ الأسلوب إلىٰ فعلٍ حالٍّ يُلام عليه المخاطب المُشارُ إليه -كما في الآيات- فيكون الغرض إلىٰ إثبات ما جاء بعد الإشارة من أفعال أو إنكاره -كما في شاهد البحث- هكذا: «ها هو ذا قائمًا - ها هو ذا يأكل الحرام»، إذ المقصود هنا إثبات القيام ولوم آكل الحرام لا مجرد إثبات الوجود والحضور، وذلك بسببٍ مِمَّا أفصح عنه الإمام عبد القاهر حيث يقول: «وجملةُ الأَمْرِ أَنَّه ما مِنْ كلامٍ كانَ فيه أمرٌ زائدٌ علىٰ مجرَّدِ إثباتِ المعنىٰ للشيء إلَّا كان الغرضَ الخاصَّ من الكلام، والذي يُقْصَد إليه ويزْجَىٰ القولُ فيه»[1]. فليس لتقديم التنبيه أو تأخيره -بل ليس لذكره أو لحذفه أصلاً- أدنىٰ دلالة علىٰ ما يقصد الشيخ.

وبماذا يجيب الشيخ في الفرق بين آية: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ...﴾ [محمد: ٣٨] وبين آية: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ...﴾ [النساء: ١٠٩] وكلاهما في خطاب المؤمنين؟ وكلاهما للإنكار - إنكار وقوع فعل في الأخيرة، وإنكار ترك فعلٍ في الأولىٰ؟ وقد تقدم التنبيهُ علىٰ الضمير، ثم كُرِّر في الإشارة؟؟

(١) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفىٰ: ٤٧١هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني ص٢٨٠، ت. محمود محمد شاكر أبو فهر. ط.٣ مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

أقول: لا فرق -كما ترىٰ- بين التركيبين اللذين قارن الشيخ بينهما- غير موقع الإشارة من التركيب؛ لأن كِلا التركيبين يُندِّد بجريمةٍ -بُنيتْ علىٰ التنبيه- تَقدَّم أو تأخر -وما عانقه في التركيب- فيجب ألا يُقصد فيهما جميعًا التنبيهُ إلىٰ أشخاص المخاطبين وأعيانهم، بل إلىٰ القضية الزائدة المترتبة: (**تقتلون أنفسكم...**)، (**تحبونهم**).

ولعل حَلَّ إشكال تأخير «**ها**» التنبيه هنا يتجلىٰ في توسيع النظرة إلىٰ السياق الأوسع قليلًا، وبيان الأسرار الكامنة وراء تسكين كل من «**ها**» التنبيه و«**ثم**» موضعيهما من الآية الكريمة: (**ثم أنتم هؤلاء**)، وقد سبق القول بأن الموضع الوحيد لِخُلُوِّ الضمير «**أنتم**» من «**ها**» التنبيه في الذِّكْر الحَكيم هو: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ...﴾، دون المواضع الثلاثة الأخرىٰ -المُمَثِّلة مع هذا الشاهد المبحثَ الأول-؛ وذلك أن التركيب هنا اعتاض عن «**ها**» التنبيه بأداة التراخي الرُّتْبِي «**ثُمَّ**»، تلك الأداة المُفصِحة عن تراكم الأخطاء والجرائم بعد تتابع النصائح والتكاليف.

ولِتنْفرد «**ثم**» بالمشهد فلا تزاحمها الـ«**ها**»، فتظهر «**ثم**» وكأنها عروس المشهد، لأن المقصود إفساح السياق لإبراز إشاراتها؛ زيادةً في التشنيع علىٰ المخاطبين والتبكيت لهم، «أي **وَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ** وَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ»[1]، فأفادت «**ثم**» «البُعد المعنوي بين الميثاق الذي أُخذ عليهم وأقروه بألسنتهم وشهدوا عليه بقلوبهم، وبين الحال التي وُجدوا فيها من أنهم قَتلوا أنفسهم بأن تَقاتلوا فيما بينهم سواء أكان قتالهم لأنفسهم بأنفسهم، أم كانوا قد انضم فريق إلىٰ قوم عدو لقوم آخر»[2].

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١/ ٥٨٦.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف (المتوفى: ١٣٩٤هـ): زهرة التفاسير ١/ ٢٩٥،٢٩٦. ط. دار الفكر العربي د.ت.

وكأنه يقول لهم: فلم يَكْفكم من ارتكاب المحظورات كذا وكذا وكذا علىٰ كثرة النصائح والتوجيهات، حتىٰ أتيتم ذلك الجرم المستفظَع أيضًا.. علىٰ أن التركيب لم يَخل من التنبيه، بل التنبيه ماثل بعدُ في التركيب، إذ أُثبِتت «ها» في «هؤلاء»، فدلالة التنبيه قائمة موفورة لم تغِب عن المشهد، فاجتمع بذلك للتركيب العناصر المتآزرة علىٰ القيام بالدور المنوط بهما أتمَّ قيام، وبإحلال كلٍّ في موضعه الأنسب له.

أما المواضع الثلاثة التالية فلم تدخل «ثم» علىٰ الضمير «أنتم» كما دخلت عليه هنا؛ وذلك لأنه لم يُقصَد هناك إلىٰ تراخٍ رُتْبي يُعرِّض بتراكماتٍ تزيد المخاطبين ورْطةً كما قُصد هنا، فجاء التركيب هناك: (**ها أنتم هؤلاء**)، وليصفوَ السياق هناك للـ«ها» فلا تزاحمها «ثم»؛ فتبرز الـ«ها» وكأنها عروس المشهد كما صفا لـ«ثم» هنا، والله أعلم.

ولعلك -قارئي الكريم- تلحظ -أيضًا- في كلام الشيخ أن أسلوب اللوم والتعنيف في بعض الآيات يخلو من زجر وتهديد وتحذير، وأقول: ذلك مستبعَد؛ لأنها دلالات متلازمة متعانقة، والله تعالىٰ أعلم.

◆ **الموضع الثاني: قال الله تعالى:**

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٤-٦٧].

الشاهد في هذا الموضع الثاني: (**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْم**) وفي الموضع الثالث -الذي يليه: (**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**)- **يتشابهان** في أن كلًّا منهما يعالج خُلقًا وسلوكًا خاطئًا ينتهجه المخاطَبون، وأن كليهما ورد بالصيغة الأقوىٰ نفسها (**ها أنتم هؤلاء**) فجُمع بين الضمير مقرونًا بالتنبيه وبين الإشارة مقرونة بالتنبيه، وأن كليهما قد هيأ لسؤالٍ تفرَّع عليه، وأن السؤال لكلا الفئتين -المخاطبتين- يحمل اللوم والتوبيخ والتهديد والإنكار؛ بغض النظر عن تنوُّع المخاطبين؛ وذلك لأن الحق ﷻ لا يحابي في الحق أحدًا كائنًا مَن كان؛ فوُحِّدت صيغة التنبيه المكثفة العناصر، فتشابه ما وراءها من دلالات في ذلك المقام المتشابه.

ثم **يتباين الشاهدان** في أن فئة المخاطبين هنا هم «**أهل الكتاب**»، أما فئة المخاطبين هناك -في الموضع الثالث- فهم «**جماعة الموحدين**»، وتَرتَّب علىٰ ذلك اختلافٌ يسير في بعض تفاصيل التركيبين -صياغةً ومادةً لغوية- كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

تعالج الآيات الشريفات -في شاهدنا هنا- اعتقادًا خاطئًا وتندِّد بما ترتب عليه من حجاج ضالٍّ مُضِلٍّ، اتَّبعه أهلُ الكتاب من اليهود والنصارىٰ، حيث يزعم كلٌّ بأن الخليل إبراهيم عليه السلام كان منهم -يهوديًّا أو نصرانيًّا-، فجاءت الآيات الشريفات لتكذِّبهم وتردَّ عليهم ادعاءهم ذاك، وتقِيم علىٰ كذبهم الدليلَ بأن كتابيهما -التوراة والإنجيل- ما أُنزِلا إلا من بعد زمانه عليه السلام، فكيف ينتمي إلىٰ أيٍّ منهما ولم يدركْه؟! ثم تُنكِر عليهم مُخاصَمتهم في أمره في تساؤل مستنكِر: «فلِم تجادلون وتخاصمون في الذي لا علم لكم به من أمر إبراهيم ودينه، ولم تجدوه في كتب الله، ولا أتتكم به أنبياؤكم، ولا شاهدتموه فتعلموه؟»[(١)].

قلنا: من اللافت بقوة في مطلع الآية تلك الصيغة (**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ**) بتكرار «**ها**» التنبيه مرتين، ونقول هنا: إن «**ها**» الداخلة علىٰ الإشارة غير الداخلة علىٰ الضمير، يقول سيبويه: «لو كانت (**ها**) هاهنا هي التي تكون أوَّلًا إذا قلت: (**هؤلاء**)، لم تُعَد (**ها**) هاهنا بعد (**أنتم**)»[(٢)]، ويقول المرادي: «قد تُعاد بعد الفصل[(٣)] **توكيدًا**. يعني في نحو: (**ها أنتم هؤلاء**)»[(٤)]، ومحلُّ الاستشهاد من كلامهما أن **تكرارها مقصود** للتوكيد، وأنها ضرورية في الإشارة لِلَفْتِ الأنظار إلىٰ ما وراءها من إشارات ودلالات، لابد أنها مقصودة، وإلا لاكتُفِي بالأُولىٰ دون هذه الثانية -محل الدراسة- المثبتة في اسم الإشارة «**أولاء**»، غير أن سيبويه والمرادي لم ينبِّها إلىٰ أوجه المعاني المؤكدة بها.

(١) الطبري، جامع البيان ٦/ ٤٩٢.

(٢) سيبويه، الكتاب ٢/ ٢٥٣.

(٣) أي: الفصل بين «**ها**» التنبيه وبين اسم الإشارة بالضمير.

(٤) المرادي، الجنىٰ الداني في حروف المعاني ١/ ٣٤٧.

ومن المعلوم المسَلَّم به بين أوساط العقلاء أن الحِجاج والجدال بالباطل في قضايا الحق يتَّسم غالبًا بالمغالبة الكاذبة، فلا يقوم إلا علىٰ الضجيج الفارغ، ولا يُمْكنه أن يغلِّف الباطلَ إلا بالتزوير الهشِّ الذي لا يثبت أصلًا؛ ولا ينطلي إلا علىٰ البُلْه.

ولأن باطلهم لا يثبت فإنهم يستخدمون الصراخ والضجيج -في المخاصمة- منهجًا وسبيلًا، ويرون أن باطلهم لا يترجَّح في الخصومة إلا بتلك الوسيلة الغوغائية الضوضائية، التي تفضحها الـ«ها» وبخاصة المكرَّرة اللافتة المؤكدة، ولكن هيهات هيهات أن يثبت حِجاجُهم الفارغ، أو يَرْجَح باطلُهم حُجَج أهل الحق!!

تلك الإشارات اللطيفة تجدها قد ضُغِطتْ وعُبِّئتْ في تلك الـ«ها» التنبيهيَّة الصارخةِ صُراخَهم، الفاضحة ضجيجَهم، التي تكررت في الإشارة «هؤلاء».

وهكذا تجد «ها» التنبيه لا تتوجَّه -في المقام الأول- إلىٰ تنبيههم إلىٰ خطئهم -كما يقول عموم العلماء كما نقل البحث عنهم- بقدر ما تفضح مكنون نفوسهم، وتُفصح بقصدهم اتخاذَ المغالبة بالصراخ والضجيج والمغالطة بالضوضاء ورفع الصوت بالباطل منهجًا وسلوكًا يختبئون خلفه؛ لأنهم يفتقدون الحُجَّة الراسخة والدليل الدامغ علىٰ صدق مزاعمهم.

الـ«ها» هنا إذن مرآة عاكسة لنفوس مهتزَّة مهترئة، ومترجِم فصيح عن عقول خرِبة، تعلم أنها لا شيء إلا بالضجيج والضوضاء، وأن مكانها بين الناس مكانُ الذيل من الأحياء؛ فيعتاضون عن الكمال بالمغالبة الصاخبة، ويُكْملون النقص بالضجيج الفارغ.

ويبدو أن كون تلك هي أخلاقَهم في كل جيل وقبيل ما يُنبئ عنه تكرار «ها»

التنبيه دخولًا علىٰ اسم الإشارة «**أولاء**» بعد دخولها علىٰ الضمير المنفصل «**أنتم**» في تلك الصيغة الكثيفة الدلالات، التي لم ترد في كتاب الله تعالىٰ إلا في ثلاثة مواضع كلُّها مواضع عتاب ولوم وإنكار -تكذيبي كما هنا، أو توبيخي كالشاهد التالي وتاليه- فذلك خير دليل علىٰ ترسُّخ ذلك المبدأ الباطل في أهل المراوغة والمغالطة في الخصومات.

«ها» التنبيه إذن تنهض بمهام دلالية متمايزة:

الأولىٰ: أنها ترسُم لأهل الحق وتُسهم مع بقية عناصر السياق في كشف **منهج أهل الباطل في الحجاج واللجاج**، وتفضح **طريقتهم في المغالبة** المبنية علىٰ إيهامات لا أساس لها، وفضح ذلك المنهج والإفصاح عن تلك الطريقة ليس لهما مرجع في الآية إلا «**ها**» التنبيه؛ لأن الحِجاج قد يكون واثقًا يُبنىٰ علىٰ الحُجَّة المسلَّمة والدليل القاطع، ولذلك «يُعْذَرُ مَنْ حَاجَّ بِعِلْمٍ، وَلا يُعْذَرُ مَنْ حَاجَّ بِالْجَهْلِ»[1]، وقد جاء في الذِّكْر الحَكيم «الإذنُ بالمجادلة والمحاجة في الدِّين علىٰ الوصف الذي ذكر، يقصد ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، **وقوله**: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾»[2]، وقد يكون الحجاج علىٰ سبيل الضجيج الفارغ، فلم يبق هنا إلا الـ«**ها**» عنصرًا وحيدًا ينحو نحوَ الإشارة المقصودة.

---

(١) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفىٰ: ٣٢٧هـ): تفسير القرآن العظيم ٢/ ٦٧٣، ت. أسعد محمد الطيب. ط.٣ مكتبة نزار مصطفىٰ الباز- المملكة العربية السعودية١٤١٩هـ.

(٢) الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ): تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ٧/ ١٨٥، ت. د/ مجدي باسلوم. ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

الثانية: أنها تصوِّر **واقعًا نفسيًّا ممزَّقًا، ينضح سلوكًا ظاهريًّا صاخبًا** على أهل الزور والباطل.

الثالثة: أنها تُسهم في **تحقيق الجريمة، وتقرر تفظيع التشنيع والتكذيب** على أهل الباطل، بطبيعتها الصاخبة وجلبتها المزلِزلة.

الرابعة: أنها **تقرِّعهم، وتزيد في لومهم** وفضحهم أمام أنفسهم -إلى فضحهم أمام الناس- لأنهم جادلوا بالباطل وهم يعلمون(١).

إن «**ها**» التنبيه -الثانية بالذات في الآية- هي التي لفتتْ إلى ذلك الضجيج الفارغ، وعليها المعوَّل في لفت الأنظار إلى طرائق المغالَبة الباطلة، وهي التي حقَّقتْ على أصحابها جريمتهم، وفضحت منهجهم، ولولاها لما تمايزت تلك الدلالات المكثَّفة فيها بتلك القوة والوضوح.

وقد استعمَل الذِّكْر الحَكيم هنا مادة «الحِجاج» التي تدل على ترك الخصومة أثرًا في المحجوج؛ حَملًا على أصل وضعها اللغوي من بقاء الأثر في اللحم والعظم، يقول ابن منظور: «حَجَّه يَحُجُّه حَجًّا، فَهُوَ مَحْجوجٌ وحَجِيج، إِذا قَدَحَ بالحَديد فِي العَظْمِ إِذا كَانَ قَدْ هَشَمَ حَتَّى يَتَلَطَّخ الدِّماغُ بِالدَّمِ، فيَقْلَع الجِلْدَة الَّتِي جَفَّت، ثُمَّ يُعالَج ذَلِكَ فَيَلْتَئِمُ بِجِلْدٍ وَيَكُونَ آمَّةً... قَالَ ابْنُ شُمَيْل: الحَجُّ أَن تُفْلَقَ الهامَةُ فَتَنْظَرَ هَلْ فِيهَا عَظْم أَو دَمٌ... وحَجَّ العَظْمَ يَحُجُّهُ حَجًّا: قَطَعَهُ مِنَ الجُرْح وَاسْتَخْرَجَهُ»(٢).

---

(١) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٨ بتصرف يسير.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، باب الحاء ٢/ ٢٢٦ ط.٣ دار صادر- بيروت ١٤١٤هـ.

إذن هؤلاء يكابدون بـ«**الحِجاج**»، ويحاولون التأثير بالإقناع الفاسد ما أمكن وبأي وسيلة تُتاح، ولا يقفون عند حدود «**الجدال**» الذي أُخِذ علىٰ المسلمين -في الشاهد التالي- سلوكًا، وإن اتفق الفريقان في أصل بطلان القضية محل الحِجاج أو الجدال.

وربما استفدنا من الموازنة بين آية الحِجاج وآية الجدال أن المسلمين -إن انحرفوا في قضية ما- لا يبلغون من البجاحة والفظاعة والفظاظة والبشاعة في الخصومة والمغالطة والمغالبة بالباطل مبلغَ هؤلاء المبطلين، بل تبقىٰ في المسلمين مهما انحرفوا بُقيَا خجل وحياء؛ فيحاولون ضبط الجدال وإحكامه بهدوء لإقناع الخصم -وربما لذلك مال إليهم رسول الله ﷺ ووثق فيهم-، ومع ذلك لا محاباة لهم عند الحق ﷻ في باطل، فهم ملامون معاتبون مؤاخذون إلا أن يؤدوا الحقوق، ويخرجوا من الإثم، والله تعالىٰ أعلم.

◆ ◆ ◆

◆ الموضع الثالث: قال الله تعالى:

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٧-١٠٩].

يعاتب الحق ﷻ جماعة المؤمنين -وفيهم الحبيب المصطفىٰ ﷺ- في يهودي ظَلَمه مسلم، «قال ابن زيد: كان رجل سرق درعًا من حديد في زمان النبي ﷺ وطرحه علىٰ يهودي، فقال اليهودي: والله ما سرقتها يا أبا القاسم، ولكن طُرحت

عليَّ! وكان للرجل الذي سرق جيرانٌ يبرِّئونه ويطَّرحونه علىٰ اليهودي ويقولون: يا رسول الله، إن هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به! قال: حتىٰ مال عليه النبي ﷺ ببعض القول، فعاتبه الله ﷻ في ذلك فقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٥] بما قلت لهذا اليهودي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ ثم أقبل علىٰ جيرانه فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ فقرأ حتىٰ بلغ: ﴿أَمَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾»[(١)].

والخطاب- علىٰ الجملة- «للقوم الذين يَتَعَصَّبون لأَهْلِ الرَّيْبِ والمعاصِي»[(٢)]، وقد جاء «علىٰ طريق الالتفات؛ للإيذان بأنَّ تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع»[(٣)]، برغم أنهم مؤمنون، وقد سبق القول بأن الذِّكْر الحَكيم لا يعرف المحاباة في إحقاق الحق، بل يهذِّب المخطئ كائنًا مَن كان، ويلومه وإن كان الملوم من أهل التوحيد، ومن خير القرون الذين فيهم صفوتهم (رسول الله ﷺ).

وشاهِدُنا إثباتُ «ها» التنبيه في الإشارة «هؤلاء» في قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ...﴾، وقد سبق القول بأن مقام المغالبة بالباطل والمغالطة لتزوير

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٩/ ١٨٤.

(٢) الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفىٰ: ٨٧٥هـ): الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢/ ٢٩٨، ت. الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤١٨هـ.

(٣) القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفىٰ: ١٣٠٧هـ): فتحُ البيان في مقاصد القرآن ٣/ ٢٣٣ عني بطبعهِ وقدَّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ط. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا- بَيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

الحقيقة لا سبيل له إلا اتخاذ الضجيج المموِّه المضلِّل منهجًا وسبيلًا، وذلك ما يترجمه تكرار «ها» التنبيه في «هؤلاء» بعد تقدُّمها في الضمير (هأنتم)، قال الأخفش: «ردّ -أو ردَّد- التنبيه مرتين أراد التوكيد»[(١)]، ولعله أراد توكيد الملامة والمذمَّة، والله أعلم.

تفضح الـ«ها» -إذن- منهج المغالطين بالباطل تمويهًا علىٰ الحق -من المسلمين كانوا كما هنا، أم من غير المسلمين كما في الشاهد السابق-؛ فطبْع البشر عند الاختلال واحد حين يحمل التعصُّبُ قومًا علىٰ الذود عن بعضهم؛ فإنما يركبون ظهر المغالبة بالباطل؛ وهذا ما اقتضىٰ تكرار «ها» التنبيه في سياق عتاب جماعة المؤمنين كما اقتضىٰ تكرارها هناك في مذمة غيرهم؛ مما يقرِّر أن ذلك منهج كل خصومة لا تقوم علىٰ مراقبة الله تعالىٰ والرغبة في إحقاق الحق.

وللدكتور فاضل السامرائي رأي في تلك الـ«ها»، يقول: «قُدِّم التنبيه لأنه تحذير لعباده المؤمنين علىٰ ما هم فيه، وأنهم ينبغي لهم أن يحذروا وينتبهوا... الموقف يتطلب الزيادة في تنبيههم ووعْظهم، بخلاف قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ فإن الموقف لا يحتاج إلىٰ زيادة في التنبيه واللوم؛ فإنه خطاب للمؤمنين... فأنت ترىٰ أن الموقف مختلف عما في الآيتين السابقتين وهو ليس موقف تقريع ولوم كما كان»[(٢)].

وأنا أقول: بل هو موقف تقريع ولوم شديدين كما سبق أن رأينا من تآويل

(١) الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي: معاني القرآن للأخفش ١/ ٢٦٦، ت. الدكتورة هدىٰ محمود قراعة. ط.١ مكتبة الخانجي، القاهرة١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

(٢) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٩- ١٠٠.

العلماء، وبناء علىٰ أسباب النزول، إلىٰ كون السياق فصيحًا بذلك أصلًا؛ فالله -عز وعلا- يأخذ علىٰ المسلمين في الآية الأخيرة: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ﴾، ومحل بحثها المبحث الثاني إن شاء الله تعالىٰ -واسم الإشارة فيها مجرد من «ها» التنبيه- يأخذ عليهم غفلتَهم عن اتِّباع المنهج الأسلم في اتخاذ البطانة واختيار الخواصِّ، ومن أقوىٰ أدلة التقريع واللوم ما يكتنف التنبيه من حواليه، ألا ترىٰ إلىٰ قوله -عز وعلا- قبله: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وإلىٰ قوله ﷻ بعده: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾؟! أليس كل ذلك دلائل غفلة الانخداع الموهوم مما يستوجب اللوم والتقريع؟! وهل يكون تقريعٌ أشدَّ من التشكيك في عقل واستبعاده عن المخاطب بـ«إنْ» المشككة: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؟!

المقام إذن مقام تقريع ولوم ومؤاخذة؛ فينبغي علىٰ المؤمن أن يكون كيِّسًا فطِنًا وبخاصة مع الألِدَّاء، ووراء إسقاط «ها» التنبيه إشارات دقيقة ومهمة في دعم دلالة اللوم والتنديد، وأقول: غرض إسقاط الـ«ها» هنا مثل غرض إثبات الـ«ها» هناك، وهو التنبيه، لكن التنبيه بإسقاطها هنا تنبيه تقريع بالحبِّ المستكنِّ في نفوس المؤمنين المخاطبين للكافرين الحاقدين، وفضح ذلك الشعور المكنون المنطوي علىٰ تودُّد المؤمنين، وتحبُّبهم إلىٰ بطانتهم الحاقدة عليهم، وتعريته أمام أعينهم لاجتثاثه من نفوسهم كما سيأتي مزيد بيانه في المبحث الثاني إن شاء الله تعالىٰ.

أما عن وجه إسقاط «ها» التنبيه ودلالته علىٰ الميل القلبيِّ -للمسلمين المترددين إلىٰ البطانة الكافرة- فمن حيث تطهير المقام من ضوضاء الـ«ها»

وضجيجها وجلجلتها، وتجنُّب ارتفاع الحنك وتجنُّب رفع الصوت بها؛ مما يعكس المسالمة الخاطئة للمسلمين لتلك البطانة الكاشحة، ويجلِّي تطامُن قلوبهم ويوحي بإخلاص محبتهم تلك البطانةَ التي فصَّل الحق ﷻ صفاتهم البادية إلىٰ ما تخفيه صدورهم -﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾-.

الجو النفسي مع إسقاط «**ها**» التنبيه هنا مناقض للجو النفسي مع إثباتها هناك في أجواء المخاصمة والمغالبة بالباطل، لأن الجو النفسي الملوم هنا ميل قلبي مستكن الودِّ رصينُه، وليس سلوكهم الظاهري مع أعدائهم مجرد تقية أو مُداراة لهم خشيةَ شيء، بل هو حُبٌّ بقناعة، وتودُّد وتقرُّب بإخلاص؛ فاقتضي المقام إسقاط الـ«**ها**» ترجمة بهدوء عُدْمها في الكلام عن هدوء النفوس وتطامُنها لأولئك الحاقدين الذين بدت البغضاء من أفواههم.

أما الجو النفسي الملوم هناك فضجيجُ خصومة مخادع عن الحقيقة كاذب؛ فاقتضىٰ إثبات الـ«**ها**» التي هي خير مترجِم عنه، والله أعلم.

وتلحظ أن الذِّكْر الحَكيم قد آثر في هذا السياق مادة «**جدل**» دون «**حجج**»، التي استعملت في السياق السابق، وهما- وإن انتمىٰ كلٌّ منهما إلىٰ عائلة المخاصمة- فإن في أصل مادة «**جدل**» من إحكام وتمتينٍ وإجادة، فهي في الأصل لـ «الفتْل» المحكَم الشديد، قال ابن منظور: «**الجَدْل**: شِدَّة الفَتْل. وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلًا إِذا شَدَدْتَ فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلًا مُحْكَمًا؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِزِمَامِ النَّاقَةِ الجَدِيل»(١).

فأخذوا منه وبنوا عليه إحكام الجدال في الخصومة، بحبْك الأدلة وتوثيق البراهين، وكأن المُخاصِم يُتقن نقاط الخصام، ويجيد حبكتها، ويُمَتِّن أسلوبها؛ ليفوز

(١) ابن منظور، لسان العرب: جدل ١١/ ١٠٤، ١٠٥.

بالغلبة كظَفَر صاحب الحبل الجديل بالتحكم في الحيوان الشموس.. قال ابن منظور: «والجَدَل: اللَّدَدُ فِي الخُصومة والقدرةُ عَلَيْهَا، وَقَدْ جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وجِدَالًا... الجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ... وَيُقَالُ: إنه لَجَدِل، إذا كَانَ شَدِيدَ الخِصام»[(١)]. فليس في الجدال هنا ما في الحجاج هناك من قسوة وجَلافة، ولذلك قال صاحب «الإشارات الإلهية»: «وهو يدل علىٰ شرف علم الجدَل؛ إذا كان طريقًا إلىٰ لزوم الحق ونفي الباطل في الدنيا والآخرة»[(٢)] والله تعالىٰ أعلم.

◆ ◆ ◆

◆ الموضع الرابع: قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٦-٣٨].

اختلف أهل العلم في المخاطَبين بهذه الآيات الكريمات مَن يكونون؟ فقيل: هم «**الْمُؤْمِنُونَ**»[(٣)]، وقيل: «هم في الغالب مِن المستجدين الذين أسلموا رغبة أو

---

(١) السابق.

(٢) الحنبلي، نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي (المتوفىٰ ٧١٦ هـ): الإشارات الإلهية إلىٰ المباحث الأصولية ١/ ١٧٨، ت. محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفىٰ: ١٢٥٠هـ، فتح القدير ٥/ ٥١): ط.١ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت ١٤١٤هـ.

رهبة أو مسايرة للظروف»[(١)]، وقيل: «يَعْنِي: **الْمُنَافِقين**»[(٢)].

وقد اعتُذِر عن المؤمنين في ذلك، إذ «لمَّا كان للمال سلطانه علىٰ النفوس فقد جاءت الآيات السابقة تكشف عن هذه المشاعر التي يجدها **المؤمنون** حين يمتحنون في أموالهم...»[(٣)].

وعلىٰ كلٍّ فالمهم في سياقنا الوقوف علىٰ بلاغة إثبات «**ها**» التنبيه في الإشارة «**أولاء**» ودورها في معالجة الصِّنف المقصود بالخطاب أيًّا كان، ومعالجة طبيعته البخيلة؛ إذ البخل بُخلٌ من أي صنف كان.

وقد نبَّه المفسرون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلىٰ أن جوَّ السورة الكريمة كلَّه جوٌّ ضاغطٌ ملتهب، يُجابه بقوة ويعالج بقوة ولا يداهن في الحق، وبناءً عليه أتت هذه الآيات في نهاية السورة الكريمة متناغمة مع ذلك الجوِّ المتأجِّج علىٰ امتداد السورة الكريمة، بما تجابه به تلك النفوس من عناصر تركيبية شديدة التأثير صادعة الدلالة مثل: ﴿تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾، ﴿فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُ﴾، ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾، ومن هنا اقتضىٰ السياق الساخن «**ها**» التنبيه في الإشارة بعد سبْقها في الضمير، فكرَّرها مرتين؛ فتناغمت مع السياق، وصَبَّتْ عليهم مُرَّ العتاب.

---

(١) عزت، دروزة محمد عزت: التفسير الحديث ٨/ ٣٣٠ ط. دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٣٨٣هـ.

(٢) ابن أبي زَمَنِين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسىٰ بن محمد المري: تفسير القرآن العزيز، ت. أبي عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفي الكنز. ط.١ الفاروق الحديثة- القاهرة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

(٣) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن ١٣/ ٣٨٩.

الآيات السابقة تصرِّح برحمة الله تعالىٰ بهم؛ إذ لم يأمرهم بالخروج من أموالهم بالكلية وإنفاقها في سبيل الله تعالىٰ كافة: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾، ثم تأتي آية الشاهد: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟...﴾ لتدلِّل علىٰ بُخلهم بالقليل، فكيف لو طالبهم بإنفاق الكثير؟!

لذا جاءت «**ها**» التنبيه مزلزِلة بصوتها الصاعد، وبهوائها الدافق، وبنفَسها الممتلئ الملتهب الحارِّ، وباستعلائها وتباعد الفكَّين بها، محقِّقة علىٰ تلك الفئة البخيلة ببعض أموالها عن الإنفاق في سبيل الله تعالىٰ محقِّقة عليها خطيئتَها.

وبهذا تَهيَّأ السياق لتلك الهاءات المكرَّرات، تناغُمًا مع ما أفصحتْ عنه تلك الآيات وما هدَّدت به من عودة الأثر السيئ المؤدِّي إلىٰ البخل بالمال علىٰ الباخلين لا علىٰ دين الله تعالىٰ، فتجلَّىٰ دور الـ«**ها**» في إشاعة أجواء الإنكار، وتفظيع الجريرة، وإلهاب التقريع، وكشف المخازي أمام النفوس.

وإلىٰ ذلك فالـ«**ها**» تفصح عن جَهْرية الدعوة الموجَّهة إليهم وتُلحُّ علىٰ تمايزها، وتقرِّر وضوحَها بما لا يدع مجالًا للتهرُّب، أو التخاذل عن القيام بواجب الإنفاق في سبيل الله تعالىٰ، قال أبو حيان: «كرَّر هاء التَّنْبيه تَوْكِيدًا»[(١)]، أي توكيدًا للتنبيه السابق في الضمير «**ها أنتم**» الذي يُبتغَىٰ به الإيقاظ والتركيز.

---

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط في التفسير ٩/ ٤٧٥ (المتوفي: ٧٤٥هـ)، ت. صدقي محمد جميل ط. دار الفكر- بيروت ١٤٢٠هـ.
وينظر: درويش، لمحيي الدين بن أحمد مصطفي: إعراب القرآن وبيانه ٩/ ٢٢٨ ط.٤ دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص- سورية، (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت) ١٤١٥هـ.

وكأني بالـ«ها» إضافة إلىٰ ذلك تُبرز العَجب، وتُبيِّن الغرابة وتفضح المفارقة بين موقفهم الباخل إزاء الدعوة الجليَّة المتكررة المتجدِّدة، بدلالة المضارع (تُدعَون)، وكأنها تقول: كيف يتَّسِق ذلك الموقف الباخل منكم إزاء تلك الدعوة الإلهية التكليفية المتجددة بإنفاق بعض المال؟! ثم كيف يتسق منكم البخل مع ما استكنَّ في قلوبكم من إيمان؟!

وإيثار لفظ «الدعوة» هنا يشعر بأنه لم يكن أمرًا إلزاميًّا، وكأن المقصودَ الإقبالُ علىٰ الإنفاق بدوافع إيمانية بعيدًا عن التكليف الإجباري.. فـ«ها» التنبيه إذن تنهض -بمعونة التركيب- بجملة مهام:

- **منها: إيقاظ القوم وتنبيههم** وتقريعهم.

- **ومنها:** تمييز فكرة **جلاء الدعوة إلىٰ الإنفاق** وعدم تأثيرها فيهم برغم تكرارها، وهم المفترض فيهم الإيمان، سواء كانوا مسلمين جُددًا أو منافقين، أو كانوا -من باب الأولىٰ- مؤمنين راسخي الإيمان، علىٰ اختلاف الأقوال في تحديد المخاطبين بها.

- **ومنها:** ما وراء ذلك من **الكناية عن شدة البخل** والحرص علىٰ الدنيا؛ بما استوجب الزجر، وهيَّأ للتهديد الوارد في السياق الممتدِّ عمومًا والسياق المباشر خصوصًا.

- **ومنها: تحقيق الخطيئة وتمييزها** ليروها كأنها شيء مادي محسوس ملموس.

- **ومنها: إشاعة جو التشنيع والإنكار عليهم**، والتنبيه إلىٰ سبب **الغرابة والعجب** من سلوكهم إزاء الدعوة إلىٰ الإنفاق.

وأعد قراءة الآية -في غير القرآن الكريم طبعًا- بدون تلك الـ«ها» لترىٰ كيف

تُفتقد تلك الدلالات، أو -على الأقل- كيف تَضعُف إن أعطَتْها عناصر التركيب الأخرىٰ: ها أنتم أولاء تدعون لتنفقوا.

ولا ننسىٰ أنه لبشاعة بُخْل مَن يُفترض فيهم رسوخ الإيمان سَبقتْ «ها» التنبيه ضميرَ جماعة المخاطبين مرة قبل تَكراراها هنا في الإشارة «هؤلاء» مرة أخرىٰ، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «هَا أَنْتُمْ هؤُلاءِ: مُرَكَّبٌ مِنْ كَلِمَةِ (هَا) تَنْبِيهٌ فِي ابْتِدَاءِ الْجُمْلَةِ، وَمِنْ ضَمِيرِ الْخِطَابِ، ثُمَّ مِنْ (هَا) التَّنْبِيهِ الدَّاخِلَةِ عَلَىٰ اسْمِ الْإِشَارَةِ، الْمُفِيدَةِ تَأْكِيدَ مَدْلُولِ الضَّمِيرِ... وَالْأَكْثَرُ أَنْ يَكُونَ اسْمُ الْإِشَارَةِ فِي مِثْلِهِ مُجَرَّدًا عَنْ (هَا) اكْتِفَاءً بِـ (هَاءِ) التَّنْبِيهِ الَّتِي فِي أَوَّلِ التَّرْكِيبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ»(١).

رحم الله تعالىٰ الإمام ابن عاشور؛ نَصَّ علىٰ أن الأصل في التركيب أنْ تُحذف «ها» التنبيه من اسم الإشارة بعد ذكرها في الضمير -علىٰ حذو قوله تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ﴾- ولم يلتفت إلىٰ غلبة ورودها في الذِّكْر الحَكيم مثبتةً في اسم الإشارة «هؤلاء» بعد تقدُّمها في الضمير علىٰ عكس تلك القاعدة التي اعتبرها أغلبية.

إن ما أُثبتت فيه «ها» التنبيه مكررة مع الإشارة بعد سَبْقِها في الضمير في الذِّكْر الحَكيم ضِعفُ ما أُسقط منها، وعلىٰ ذلك اكتفىٰ بالقول بأنها مكررة للتأكيد، ولعله أخذه من قول «جامع البيان»: «وقال بعض نحويي البصرة: جعل التنبيه في موضعين **للتوكيد**»(٢)، لكن تأكيد أي معنىٰ؟؟ لم يذكر.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير٢٦/ ١٣٧.

(٢) الطبري، جامع البيان ٢٢/ ١٩١، ١٩٢.

وقد نبَّه الأخفش الأوسط إلىٰ ضرورة «ها» التنبيه في «هؤلاء» -وإن لم يفصِّل وجه لزومها-، فقال: «وكان التنبيه الذي في «هَؤُلَاءِ» تنبيهًا لازمًا»[1]، ولعله يقصد لزومَه صناعةً، وقد خالفت الـ«ها» ذلك اللزوم إذ وردت الإشارة «أولاء» في الذِّكْر الحَكيم بدون «ها» التنبيه في موضعين -هما مادة المبحث الثاني- بينما وردت بـ«ها» التنبيه في حوالي ثمانية وأربعين موضعًا؛ ولعل تلك الغلبة دعته إلىٰ القول بالتلازم بين «ها» والإشارة «أولاء».. وعلىٰ ذلك يكون موضعًا إسقاطها منه خارجَيْن علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر وإن خالف ذلك قاعدة ابن عاشور السابقة من أن الأصل إسقاط الـ«ها» من الإشارة إذا أُثبتت في الضمير قبله.. وسننظر أسرارهما في مبحثهما التالي قريبًا إن شاء الله تعالىٰ.

وقال الإمام الفخر الرازي: «وَقَوْلُهُ: (هؤُلاءِ) يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً كَأَنَّهُ قَالَ: أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله، وثانيهما: (هؤُلاءِ) وحدها خبر (أنتم) كَمَا يُقَالُ: أَنْتَ هَذَا- تَحْقِيقًا لِلشُّهْرَةِ وَالظُّهُورِ، أَيْ ظَهَرَ أَمْرُكُمْ بِحَيْثُ لَا حَاجَةَ إِلَىٰ الْإِخْبَارِ عَنْكُمْ بِأَمْرٍ مُغَايِرٍ. ثُمَّ يَبْتَدِئُ (تُدْعَوْنَ)...»[2]، وعلىٰ الوجه الثاني يكون من إشارات الـ«ها» **تمييزُهم وكشف أمرهم** لأنفسهم، وإيقافهم علىٰ مأخذه عليهم أمام أنفسهم في مرآة الإشارة المدعومة بالتنبيه اللافت (هؤلاء)؛ ليروا أخطاءهم جليَّة، والله تعالىٰ أعلم.

(١) الأخفش، معاني القرآن ٢/ ٥٢٠.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٢٨/ ٦٣.

المبحث الثاني

الإيحاءُ البلاغيُّ لـ «ها» التَّنْبيه إسقاطًا من اسم الإشارة «أُولاءِ» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحكيم

لم تُسقَط «ها» التنبيه من اسم الإشارة «**أولاء**» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحكيم إلا في موضعين اثنين -كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك-، ولولا إسقاطُها منه في هذين الموضعين لَمَا انتبهنا إلىٰ أسرارها حيث أُثبتت فيه، ولا إلىٰ أسرارها حيث أُسقطت منه؛ فالمخالفة داعية التنبيه إلىٰ ما وراءها، وباعثة الهمة علىٰ استجلاء أسرارها والوقوف علىٰ أغراضها، فإلىٰ:

◆ الموضع الأول: قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٨-١١٩]

«معنىٰ الآية: أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء **اليهود** -الذين **نهيتكم** عن مباطنتهم- للأسباب التي بينكم من المصاهرة والمحالفة والرضاع والقرابة والجوار، وَلا يُحِبُّونَكُمْ هم لما بينكم من مخالفة الدين»(١).

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣/ ١٣٥.

فالخطاب للمؤمنين بعامة، وقيل: للأنصار، قال ابن عباس: كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغَضهم اليهود، فنزلت هذه الآية»[(١)]، وقال ابن جرير: «ها أنتم، أيها **المؤمنون**، الذين تحبونهم، يقول: تحبون هؤلاء الكفار الذين **نهيتكم** عن اتخاذهم بطانة... وهم لا يحبونكم، بل يبطنون لكم العداوة والغش»[(٢)]، وقال ابن أبي حاتم: «(**هَا أَنْتُمْ أُولاءِ**) مَعْشَرَ **الأَنْصَارِ**»[(٣)].

«والضمير في (**تُحِبُّونَهُمْ**) لمنافقي اليهود»[(٤)]، وقيل: للإباضية، وقيل: لليهود[(٥)]، والمنافقون أقرب؛ لما صُرِّح به في الآية من أخصِّ صفاتهم: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[(٦)]، «وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ عَائِدٌ عَلَىٰ بِطَانَةٍ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُوَ كُلُّ مُنَافِقٍ حَتَّىٰ مُنَافِقِ الْمُشْرِكِينَ»[(٧)]. وذلك الحب

(١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ): زاد المسير في علم التفسير ١/ ٣١٩، ت. عبد الرزاق المهدي. ط.١ دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٢٢هـ.

(٢) الطبري، جامع البيان ٧/ ١٤٨

(٣) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ): تفسير القرآن العظيم ٣/ ٧٤٤، ت. أسعد محمد الطيب، ط.٣ مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ.

(٤) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٩٧، ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

(٥) ينظر: السابق ٣/ ٧٤٥.

(٦) ينظر: الماتريدي، **تأويلات** أهل السنة ٢/ ٤٦٥.

(٧) التوحيدي، البحر المحيط في التفسير ٣/ ٣١٩.

إنما هو «مِنْ أَثَرِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لَهُمْ، الَّذِينَ لَا يُقَصِّرُونَ فِي إِفْسَادِ أَمْرِهِمْ وَتَمَنِّي عَنَتِهِمْ عَلَىٰ أَنَّ بَغْضَاءَهُمْ لَهُمْ ظَاهِرَةٌ وَمَا خَفِيَ مِنْهَا أَكْبَرُ مِمَّا ظَهَرَ»(١)، وعلىٰ ذلك ليس اللوم لطِيبة قلوب المؤمنين، وإنما هو لبقائهم علىٰ طِيبة قلوبهم حالَ وضوح عداوة الأعداء، ومحادَّتهم المؤمنين صراحة، مع أن ما وقع منهم صريحًا لا يقارَن خطورةً وأذية بما لم يقع صريحًا.. هذا وجه اللوم والتعنيف فما يظهر، والله أعلم.

الآيات إذن «تحذير من الله لعباده عن ولاية الكفار، واتخاذهم بطانةً، أو خصيصةً وأصدقاء، يسِّرون إليهم، ويفضون لهم بأسرار المؤمنين»(٢).

وقد لخص أبو حيان أوجهَ إعراب الشاهد في «أَنْ يَكُونَ (**أُولَاءِ**) خَبَرًا عَنْ (**أَنْتُمْ**)، وَ(**تُحِبُّونَهُمْ**) مُسْتَأْنَفٌ أَوْ حَالٌ أَوْ صِلَةٌ، عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ (**أُولَاءِ**) موصولًا أو خبرًا لـ(**أنتم**)، و(**أولاء**) منادَىٰ، أَوْ يَكُونَ (**أُولَاءِ**) مُبْتَدَأً ثانيًا، و(**تحبونهم**) خَبَرٌ عَنْهُ، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ عَنِ الْأَوَّلِ. أَوْ يَكُونَ (**أُولَاءِ**) فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ نَحْوَ: أَنَا زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، فَيَكُونُ مِنَ الِاشْتِغَالِ»(٣).

وموضع الشاهد خُلُوُّ الإشارة «**أولاء**» من «**ها**» التنبيه، وقد اكتَفىٰ ابن عاشور بأن «تَجْرِيدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ هَاءِ التَّنْبِيهِ **اسْتِعْمَالٌ جَائِزٌ**»، ولم يذهب وراء سر إيثار

(١) رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٤/ ٧٣. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/ ٩٧٣، ت. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط.١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٣) التوحيدي، البحر المحيط في التفسير ٣/ ٣١٨.

تجريده منه هنا، ولا وراء سر اقترانه به هناك، واعتبَر صاحب «المنار» أن «ها» في «هؤلاء» قُدِّمت فدخلت علىٰ الضمير يقول: «أَصْلُهُ (أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ) فَقُدِّمَتْ أَدَاةُ التَّنْبِيهِ الَّتِي تَلْحَقُ اسْمَ الْإِشَارَةِ (أُولَاءِ) عَلَىٰ الضَّمِيرِ»[1]، فـ«ها» التنبيه رُكِّب مع (أولاء) حتىٰ صار معه **بمنزلة حرف منه**»[2]، أقول: وإن كان الأمر كذلك فلابد من سرٍّ وراء تجريد الإشارة منها هنا، وإلا لاقترنت بها كما اقترنت بها في المواضع السابقة.

وإذن فلا بد من أسرار تتُوق النفسُ إلىٰ تبيُّنِها، وتبيُّن الدلالات الباعثة علىٰ إسقاطها من الإشارة.. فتُرىٰ ما السر البلاغي وراء إسقاطها منه مخالفًا في ذلك أشباهه (**ها أنتم هؤلاء**) في المواضع الأربعة السابقة في المبحث الأول؟؟ وبخاصة أن الجملة قد صُدِّرت بـ«ها» التنبيه في (**ها أنتم**)، فجمعت بين التنبيه في الضمير -وهو الأقل استعمالًا-، ثم أسقطت من الإشارة «**أولاء**» -وإثباتها فيه الأكثر استعمالًا كما سبق عند ابن عاشور-، فإسقاطها ثانيًا يلفت وينبه إلىٰ لطائف أرقَّ وأدقَّ، كما أن إثباتَها يلفت وينبِّه إلىٰ لطائف معنوية رقيقة دقيقة، بحيث لا يصحُّ العكس -لغةً وبلاغة كما لا يصح ديانةً وعقيدة-.

وقد قالوا: «صُدِّرت -الآية- بحرف التنبيه **إظهارًا لكمال العنايةِ بمضمونها** أي: أنتم أولاءِ المخطِئون في موالاتهم»، أما إسقاطها من اسم الإشارة «**أولاء**» وعدم تكرارها معه فيكشف ويلفت إلىٰ مكنون نفوس المؤمنين من التقرُّب والتودُّد والتحبُّب إلىٰ المنافقين، ولـ«ها» التنبيه مع «**أولاء**» من حيث الإثبات والإسقاط أحوال يحسمها المقام والغرض.

---

(١) رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٤/ ٧٧.

(٢) ينظر: الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى: ١٤١٤هـ): الموسوعة القرآنية ٨/ ٦٢١ ط. مؤسسة سجل العرب ١٤٠٥هـ.

وقد اجتهد بعض العلماء المحدَثين -مأجورين إن شاء الله تعالىٰ- في التماس سر إسقاط «ها» التنبيه من الإشارة «**أولاء**» هنا، وسأعرض لتلك الاجتهادات وأناقشها، يقول الشيخ الجزائري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «(**أُولاء**): هؤلاء حذفت منه «**هاء**» التنبيه؛ لوجودها في (**ها أنتم**) قبلها»(١)، وذلك مردود بأن أغلب تلك الصيغة في الذِّكْر الحَكيم أُثبتت (**ها**) علىٰ (**أولاء**) بعد دخولها علىٰ الضمير (**أنتم**) قبلها.

ويقول الدكتور فاضل السامرائي -بارك الله علَمه وعملَه- في سر إسقاطها من اسم الإشارة: «الموقف لا يحتاج إلىٰ زيادة في التنبيه واللوم؛ **فإنه خطاب للمؤمنين**... وهو ليس موقف تقريع ولوم كما كان»(٢)- أي في آية: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ﴾، وآية: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ﴾.

فقد اعتَبر **خطاب المؤمنين** هو الداعي لإبعاد الـ«**ها**»، وقد ابتنىٰ ذلك علىٰ أن الغرض هو «**التنبيه**» لا «**اللوم والعتاب والإنكار**»، مخالفًا أغلبَ علماء الأمة -كما نقَل عنهم البحثُ-، وأخالفه الرأي والتوجيه فأقول: بل هو موقف تقريع ولوم شديدين، والسياق فصيح بذلك؛ وهل خطاب المؤمنين يمنع التنبيه والتعنيف إذا اقتضىٰ المقام؟؟ ثم أليس قد صدِّرت الآية نفسُها -التي يقول فضيلته: إنها خطاب للمؤمنين- بالتنبيه فـ«(**ها أَنْتُمْ أُولاءِ**): أي أنبهكم أنتم يا معشر المؤمنين المخطئين في موالاتهم»(٣)؟؟ فلو كان إسقاطها من الإشارة لكونهم مؤمنين، فلقد أثبتت في

(١) الجزائري، جابر بن موسىٰ بن عبد القادر بن جابر أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ١/ ٣٦٥، ط.٥ مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٩- ١٠٠.

(٣) التناري، محمد بن عمر نووي الجاوي (المتوفىٰ: ١٣١٦هـ): مراح لبيد لكشف معنىٰ القرآن المجيد ١/ ١٤٨ت. محمد أمين الصناوي. ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٧هـ.

ضمير المخاطبين به (**ها أنتم**) لنفس المؤمنين؛ وذلك تناقض بيِّن.

ثم أليست إحدىٰ الآيتين السابقتين كانت في المؤمنين أيضًا هي ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ﴾-؟! إن كونها في المؤمنين لم يمنع الحقَّ ﷻ من إحقاق الحق، والتنبيه والتقريع واللوم، وهذا من أعظم دلائل الدين الحق علىٰ إنصافه الخصوم، فكان التنبيه هناك -أيضًا- مجلجِلًا مقرِّعًا لهم وهم مؤمنون.. بل قال الزمخشري: «وفيه **توبيخ شديد** بأنهم في باطلهم أصْلب منكم في حقكم»[(١)]، و«قال الطِّيبي: يعني لما قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: أنتم هؤلاء المشاهدون، **تحقيرًا لشأنهم وازدراءً لحالهم**، لَمَّا شوهد منهم ما يجب تخطئتهم به بيَّن ما به استحقوا هذا التحقير فقال: ﴿تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ...﴾ ولو قال لاقتضاء المقام والتنبيه علىٰ الخطأ العظيم للمخاطبين... فإنه يقتضي **عنفًا شديدًا وتعبيرًا بليغًا**»[(٢)].

إذن لقد أخذ الله ﷻ علىٰ المؤمنين تلك الغفلة التي تصيب من يقع فيها في مقتل، تلك الغفلة عن سلوك المنهج الأسلم في اصطفاء البطانة، لذا أغلظ الله تعالىٰ لهم، وصوَّر تقريبهم للحاقدين بـ«**البطانة**» بهذا التصوير المعبر عن الملاصقة والمكاشفة، والمخاصصة بإطْلاعهم إياهم علىٰ أسرار الأمة، وإيقافهم علىٰ تفاصيل خصوصياتها دون المخلصين الصالحين المصلحين من ذوي ديانتهم وبني جلدتهم.

---

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٤٠٦، ٨١ ط.٣ دار الكتاب العرب- بيروت ١٤٠٧هـ.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ: ٩١١هـ): نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي علىٰ تفسير البيضاوي) ٣/ ٥١، ٥٣ ط. جامعة أم القرىٰ- كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراه ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٥م).

ومن أقوىٰ أدلة التقريع واللوم هنا ما يكتنف التنبيه من حواليه من قوارع مؤلمة، ألا ترىٰ إلىٰ قوله -عز وعلا- قبل التنبيه: (**لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**)، وإلىٰ قوله ﷻ بعد التنبيه: (**تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**)؟؟ أليس كل ذلك من دلائل غفلة الانخداع الموهوم مما يستوجب اللوم والتقريع؟! وهل يكون تقريعٌ أشدَّ من التشكيك في عقولهم واستبعاد ميزة العقل عنهم بـ«إنْ» الافتراضية في فاصلة الآية المهيِّئة للتنبيه: (**إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ**)؟!

وعلىٰ ذلك فمن البعيد ما قاله ابن عاشور: «**وَلَيْسَ فِي هَذَا التَّعْجِيبِ شَيْءٌ مِنَ التَّغْلِيطِ**، وَلَكِنَّهُ مُجَرَّدُ إِيقَاظٍ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ فَإِنَّهُ كَالْعُذْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ...». نعم هو كالعذر عنهم رحمةً بهم وتخفيفًا لشدة الملام، وإلا فكيف ينخدع مَن أبدىٰ أعداؤه البغضاءَ كلامًا من الأفواه؟؟ أليس من الفطرة وعْيُ ما وراء كلمات العداوة والبغضاء من حقد يستوجب الحذر؟؟ فمَن فاته ذلك كيف لا يُغلَّظ له؟! فـ«التَّعْجِيبُ فِي الْآيَةِ مِنْ مَجْمُوعِ الْحَالين قيل: **هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ**، فَالْعَجَبُ مِنْ مَحَبَّةِ الْمُؤْمِنِينَ إِيَّاهُمْ فِي حَالِ بُغْضِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يُذْكَرُ بَعْدَ اسْمِ الْإِشَارَةِ جُمْلَةٌ فِي هَذَا التَّرْكِيبِ إِلَّا وَالْقَصْدُ **التَّعَجُّبُ مِنْ مَضْمُونِ تِلْكَ الْجُمْلَةِ**»[1].

وقد رأينا أغلبَ العلماء علىٰ أن المقام مقام لوم ومؤاخذة، وعليه فقد وجب علىٰ المؤمن أن يكون كَيِّسًا فَطِنًا، والمهم أنه قد جاء إسقاط «ها» التنبيه هنا فضحًا

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ٤/ ٦٥.

لمضمرات نفوس هؤلاء النفر من المسلمين أمام أنفسهم، وتحقيقًا لخطيئة التودُّد إلىٰ غير المؤمنين عليهم والمسارعة فيهم، وكشفًا لتحبُّبهم إلىٰ البطانة المنافقة الحاقدة عليهم وعلىٰ الدين الحق.

إن إسقاط الـ«ها» يعكس إخلاص المؤمنين في المحبة، ويكشف نمطًا -معلومًا في مثله- من التلطُّف وإظهار التقرُّب إلىٰ تلك البطانة الكاشحة، وهذا الجو النفسي -كما ترىٰ- علىٰ النقيض من الجو النفسي لإثبات «ها» التنبيه هناك في أجواء الحِجاج والمغالبة بالباطل كما مر بنا في شواهد المبحث الأول.

ويبدو أن إسقاط الـ«ها» من «**أولاء**» يحكي ما تعانيه الأمة في أجيالها المتعاقبة بدءًا من عصر الدعوة الأول كما تصرح الآيات؛ إذ تَرىٰ كثيرًا من المسلمين الموحدين يتوددون إلىٰ غير المسلمين، ويتلطفون في التماس رضاهم، ويقربونهم، ويتقربون منهم وإليهم، ويتخذوهم أولياء من دون المؤمنين، يلقون إليهم بالمودة، ويكاشفونهم أسرار الأمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حَذْف الـ«ها» هنا يستبطن ضمائر تلك الفئة الواهنة من المسلمين، ويعكس حالتهم النفسية المكنونة، ويبرز مكنونها تجاه الكفار من تحبُّب وتألُّف وتوسُّل، ويصور لهم تلك البواطن الآثمة في الميل القلبي إلىٰ أعداء الدين المتربِّصين، ويُلْمح إلىٰ أن ذلك ليس للتُّقْية أو لمداراة الأعداء واتقاء شرهم، وإنما هو شعور صادق، وبراءة مخدوعة، وقد استُبشِع لِما يتفلَّت من أفواه المنافين والحاقدين بين الفَينة والفينة من فلتات الحقد الدَّفين، ويَبقىٰ ما تخفي صدُورُهم أكبر - أعاذنا الله تعالىٰ من شرهم، ورد كيدهم في نحورهم.

وأعد العبارة -في غير الذِّكْر الحَكيم طبعًا- بإثبات الـ«ها» لتتضح لديك

الفوارق الجليلة بين ما جاءت عليه التلاوة الشريفة وبين ما تقول: ها أنتم **هؤلاء** تحبونهم ولا يحبونكم، أتجد لإثبات الـ«**ها**» في الإشارة مساغًا؟؟

وممن ذهب مذهب ابن عاشور في أن هذه الآيات إنما وردت لمجرد التنبيه الدكتور فاضل السامرائي، يقول: «وقد يقال: ها أنت ذا تعنيه ولا يعنيك. تخبره عن نفسه بحقيقة **ربما كانت خافية عليه فتنبهه** عليها، وتحذره أمره، كما قال تعالىٰ: ﴿هَاأَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾»(١).

فأقول: لو كان الأمر المعنيُّ مجردَ «**تنبيهٍ**» لما ذُكر المقابل للمعاني: «**ولا تعنيه**» في مثاله، و(**ولا يحبونكم**) في الآية الشريفة، ولكان كافيًا توجيههم بأسلوب النصح والإرشاد اللطيف الخالي من اللوم والتعنيف، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

وقد فسر السمعاني (**أولاء**) بـ«**هَؤُلَاءِ**»(٢) كما فسره الطِّيبي فيما ذُكر آنفًا، وهذا غير دقيق؛ لما يكمن وراء إسقاط «**ها**» التنبيه هنا من **التنبيه** إلىٰ إشارات جوهرية، فاعلة في خدمة الغرض والاتساق مع المقام والسياق، تفوت بإثباتها، كما علمت سلفًا؛ فالبون بين التعبيرين شاسع.

وهنا أزعم أن التنبيه إلىٰ تلك الإشارات المقصودة يقوىٰ حالَ إسقاط الـ«**ها**» من «**أولاء**»، ويصير أقوىٰ وأبلغ مما يثيره إثباتها من تنبيه، فيصير إسقاطها في بعض المقامات تنبيهًا كما يكون إثباتها في أخرىٰ تنبيهًا، والله أعلم.

---

(١) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٧.

(٢) المروزي، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد (المتوفى: ٤٨٩هـ): تفسير القرآن ١/ ٣٥١، ت. ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط.١ دار الوطن، الرياض- السعودية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

الموضع الثاني: قال الله تعالى:

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾ [طه: ٨٣-٨٤].

«**قال ابن إسحاق:** وعد الله موسىٰ وقومه -بعد أن أنجاه وقومَه- ثلاثين ليلة وأتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقَّاه فيها بما شاء، واستَخلف موسىٰ علىٰ قومه هارونَ ومعه السامري، يسير بهم علىٰ أثر موسىٰ ليلحقه بهم، فلما كلَّم اللهُ موسىٰ قال له: ما أعجلك عن قومك يا موسىٰ؟ قال: هم أولاء علىٰ أثري، وعجلت إليك رب لترضىٰ»[(١)]، وعجبًا لـ«قوم يُعاتَبون لتأخُّرهم، وآخرون لتقدُّمهم، فشتان ما هما!!»[(٢)].

وقيل: إن «مُوسَىٰ اخْتَارَ مِنْ قَوْمِهِ سَبْعِينَ رَجُلًا حَتَّىٰ يَذْهَبُوا مَعَهُ إِلَىٰ الطُّورِ، لِيَأْخُذُوا التَّوْرَاةَ، فَسَارَ بِهِمْ ثُمَّ عَجَّلَ مُوسَىٰ مِنْ بَيْنِهِمْ شَوْقًا إِلَىٰ رَبِّهِ ﷻ، وَخَلَّفَ السَّبْعِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتْبَعُوهُ إِلَىٰ الْجَبَلِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[(٣)].

---

(١) القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمُّوش بن محمد بن مختار (المتوفىٰ: ٤٣٧هـ): الهداية إلىٰ بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه ٧/ ٤٦٨٠ ط.١ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(٢) القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفىٰ: ٤٦٥هـ): لطائف الإشارات ٢/ ٤٧٠، ت. إبراهيم البسيوني. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر د.ت.

(٣) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفىٰ: ٥١٠هـ): معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت. محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط.٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

وعلىٰ الإجمال فإن «الَّذِي يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ الْمُفَسِّرِينَ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ الْآيَةُ: أَنَّ مُوسَىٰ تَعَجَّلَ مُفَارَقَةَ قَوْمِهِ لِيَحْضُرَ إِلَىٰ الْمُنَاجَاةِ قَبْلَ الْإِبَّانِ الَّذِي عَيَّنَهُ اللهُ لَهُ، اجْتِهَادًا مِنْهُ... فَلَامَهُ اللهُ عَلَىٰ أَنْ غَفَلَ عَنْ مُرَاعَاةِ مَا يَحُفُّ بِذَلِكَ مِنِ ابْتِعَادِهِ عَنْ قومه»[(١)].

وقطْعًا لقد لمَح موسىٰ عليه السلام وجْهَ السؤال (**ما أعجلك...؟**)- وأيقن أنه «علىٰ سبيل الإنكار»[(٢)]، و«اللَّوْم»[(٣)]، والعتاب- وأنه «سؤال عن سبب العجلة يتضمن إنكارَها من حيث إنها نقيصةٌ في نفسها، انضم إليها إغفال القوم وإيهام التعظُّم عليهم؛ فلذلك أجاب موسىٰ -«معتذرًا لربه تعالىٰ»[(٤)]- عن الأمرين، وقدَّم جواب الإنكار لأنه أهم»[(٥)]، وقدَّم بين يدي جوابه اعتذارًا مغلَّفًا بانكسار، فقال (**هم أولاء علىٰ أثري**)، وهو جواب السؤال المتضمَّن، ثم ثنَّىٰ بذكر جواب السؤال الصريح -سبب الإعجال-: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ أي «لتزداد عني رضًا - وهذا دليل علىٰ جواز الاجتهاد»[(٦)].

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦/ ٢٧٧.

(٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ٥٧.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦/ ٢٧٧.

(٤) طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٩/ ١٣٥. ط.١ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة ١٩٩٨م.

(٥) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٣٥، ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤١٨هـ.

(٦) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (المتوفى: ٧١٠هـ): تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٢/ ٢٧٧، ت. يوسف علي بديوي، ط.١ دار الكلم الطيب، بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

فتقديم الاعتذار علىٰ الجواب إذن ينطوي علىٰ الاعتراف بالخطأ في الإعجال عن قومه -وإن كان لغاية شريفة-، وعلىٰ ذلك فالمقام والسياق يقتضيان من موسىٰ عليه السلام أن يحتشد في تحرير جملة الاعتذار، وتعبئتها بخصائص وعناصر خادمة للغرض، واستبعاد العناصر غير الخادمة لفكرة الاعتذار في هذا المقام - حتىٰ وإن خالف الأغلب كما سبق.

لقد أسقط موسىٰ عليه السلام الـ«ها» من الأسلوب كله، فلم يذكرها في الضمير «هم» ولم يثبتها في الإشارة «أولاء» وأسقطها منهما جميعًا لأن إثباتها يناقض غرضه؛ إذ لا تخدمه في مقام الاعتذار.

وإذا كان اللوم الموجَّهُ من الله تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام بسبب إعجاله وفِراقه قومَه متقدِّمًا عليهم - فإن المنطق السديد يقتضي من موسىٰ عليه السلام أن يهوِّن مِن حجم فراقه قومَه، وأن يظهره كأنه ليس فراقًا؛ فقد «اعتلَّ بأنه لم يوجد مني إلا تقدُّم يسير، مثله لا يعتدُّ به في العادة، ولا يُحتفل به. وليس بيني وبين من سبقتُه إلا مسافة قريبة يتقدَّم بمثلها الوفدَ رأسُهم ومقدَّمهم»[1]، فأتىٰ عليه السلام بالتعبير الذي يقرِّر تلك الفكرة، ويفصح عن أن القوم قريبون منه كأنهم ملاصقون له غير بعيدين عنه: ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾.

وبذلك تظهر ضرورة إبعاد «ها» التنبيه من السياق، وإسقاطها من السياق وفاءً بحق المقام؛ لأن إظهارها في التركيب يوحي بخلاف القصد، ويناقض فكرة الإلحاح علىٰ تأكُّد قُربهم، والإيحاء بأن خُطَىٰ أقدامهم علىٰ أثر خُطَىٰ قدميه مباشرة.

(١) الزمخشري، الكشاف ٣/ ٨٠.

واضح أن غرض موسىٰ عليه السلام إظهار التودُّد في الاعتذار، وإبداء العذر بانكسار؛ دون إطالة أو إبطاء بـ«ها» التي تفوح منها أجواء الانتشار والجلبة، فتشعر بطول المساحة الزمنية وبُعد المساحة المكانية بينه عليه السلام وبين قومه، وهكذا يسهم إسقاطها في تلطيف المقام (**هم أولاء**)، ولو ذكر الـ«ها» لأشاعت جوًّا من الضجيج يتناقض مع الغرض والمقام كما سبق، وانطِقها في غير القرآن الكريم بالـ«ها» لترىٰ الفجاجة وتمتلكك بسببها الكآبة: **هم هؤلاء علىٰ أثري**..، وستزداد الفجاجة إن نطقتها مثبتة في الضمير أيضًا: **ها هم هؤلاء علىٰ أثري**، ويتجلىٰ التناقض.. وكيف يكونون علىٰ أثره وهم «**هؤلاء**» بالـ«ها» المشعرة بالإبعاد والنفرة والانتشار! إن الـ«ها» تشعر بتنافر المعاني وتَعاديها، وتَحلُّ وثاقة التركيب، أضف إلىٰ ذلك انتشار ضجيجها الخارج عن لياقة الأدب في مقام الاعتذار المنكسر بين يدي الملك الجبَّار؟؟

هذا هو الغرض الأظهر -عندي- من إسقاط «**ها**» التنبيه من اسم الإشارة (**أولاء**) في هذا الموضع، وهو ثاني موضعين لا ثالث لهما أسقطت منهما في الذِّكْر الحَكيم، وهو -أيضًا- ثاني موضعين لا ثالث لهما يخاطب فيها نبيٌّ ربَّ العزة ﷻ مشيرًا إلىٰ مشار بـ«**أولاء**»، جاء أحد الموضعين -وهو شاهدنا هنا- بإسقاط «**ها**» التنبيه منه، وجاء الآخر بإثباتها فيه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨]، وهو قول سيدنا محمد ﷺ «**يشكو قومَه إلىٰ ربه**»(١) سبحانه، وورود أحدهما بإثبات الـ«ها» والآخر بإسقاطها يقرر أن مدار الإثبات أو الإسقاط علىٰ الوفاء بحق مقتضىٰ الحال، وأنه لا عَلاقة له بالمعنىٰ الحرفِيِّ الضيِّق الصغير للـ«ها» وهو «**التنبيه**»، وقد

(١) الطبري، جامع البيان ٢١/ ٦٥٦.

سبق في مبحث إثبات الـ«ها» في الإشارة «**أولاء**» أن «**التنبيه**» بمعناه الحَرفِيِّ يُعَد أضيق دلالات الـ«ها»، وأنها مُفعمة بالدلالات غنيَّة بالإشارات التي تغذو الغرض، وتمدُّ السياق بزخَم هائل من اللطائف البارعة في سياقاتها، وتتغلغل داخل النفوس المخاطَبة وتسبر أعماقها؛ كشفًا لِما تنطوي عليها من دخائل مستورة، وما تطبِّبه من أمراض متجذِّرة.

أقول: لذلك حين وقف ابن رجب الحنبلي عند معنىٰ «**التنبيه**» الضيق مجمَلًا في الـ«ها» وقصَرها عليه ولم ير فيها غيره استبعدها من سياق خطاب العبد المؤمن ربَّه ﷻ، وقصرها علىٰ خطاب الكافرين، وتبعه في ذلك الشيخ الشعراوي رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، ولا شك أنني وكل المسلمين نوافقهما علىٰ وجوب التأدُّب في خطاب الله تعالىٰ-، لكنني أخالفهما في رؤيتهما قصرَ الـ«ها» علىٰ «**التنبيه**» بمعناه اللغويِّ المحدود، الناظر إلىٰ غفلة المخاطَب، وما يترتب عليه من وجوب عدم مخاطبة الله تعالىٰ بها.

يقول ابن الجوزي: «سمعت الوزير يقول: قرأ عندي قارئ، قال: (**هُمْ أولاءِ عَلَىٰ أَثَرِي**)، فأفكرتُ في معنىٰ اشتِقاقِها، فنظرتُ فإذا **وضعها للتنبيه، واللهُ لا يجوزُ أن يخاطَبَ بهذا**، ولَم أر أحدًا خاطبَ الله ﷻ بحرف التنبيه إلا الكفار، كما قال الله ﷻ ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦]، ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]. وما رأيت أحدًا من الأنبياءِ خاطب ربَّه بحرف التنبيه، والله أعلم. فأما قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ فإنه قد تقدَّم الخطاب بقوله: يا ربِّ، فبقيت «ها» للتمكين، ولما خاطب الله ﷻ المنافقين، قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، وكرَّم المؤمنين بإسقاط «ها» فقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ﴾. فكان التنبيه للمؤمنين أخفَّ»(١).

وهنا أقول: إن آيتي خطاب الكفار ربَّنَا تعالىٰ بالتنبيه قد تقدمها -أيضًا- النداء بالوصف «ربّ»، وهذا ما اعتذر به مَن اعتذر عن ورودها في خطاب نبينا ﷺ ربَّنا سبحانه: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾، وإذ لا فرق فلا مساغَ إذن لقبول موضع دون الآخَرَيْن، فالمعوَّل عليه حينئذ مراعاة المتكلم حال نفسه من التنفيس عما بداخله، والبوح بمكنون نفسه هو، لا مراعاة حال المخاطب عز وعلا، ويقرر هذا أن الكفار المخاطِبين بهذه الـ«ها» رب العزة عز وعلا يكون خطابهم هذا في أضعف أحوالهم وأذلها يوم القيامة أو بعده في مراحل العذاب (هؤلاء الذين **كنا** ندعو من دونك)، (هؤلاء أضلونا)، فكيف يتبجحون بتنبيه يخرج عن حدود اللياقة!!

وقد سبق في المبحث الأول بيانُ لطائف «ها» التنبيه في آية: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ...﴾، و﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ...﴾، وأن وراءها دلالات متكاثرة لخَّصها النُّحاة في مصطلح «**التنبيه**»، لكنها تعكس ضجيجَهم وتفضح منهجهم القائم علىٰ المغالبة الباطلة بالأصوات المرتفعة الصاخبة، و«**التنبيه**» أضعف من ذلك وأهدأ بمراحل.

وقال الشعراوي: «(**أولاء**) بدون هاء التنبيه تأدُّبًا مع ربه ﷻ... أما المؤمن فلا

(١) الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (المتوفى: ٧٩٥هـ): روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) ١/ ٦٨٣ جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط.١ دار العاصمة - المملكة العربية السعودية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

يليق به أبدًا أن يُنبِّه الله تعالىٰ، بل ولا تصدر من مؤمن لمؤمن لأنه دائمًا منتبه»[(١)]. وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قد نسي أن نواميس اللغة مطردة في الذِّكْر الحَكيم كله.. ثم أليس معظم أساليب اللغة ترتدُّ عن دلالاتها المقرَّرة حين يتعلق الكلام بالله -عز وعلا- كالتعجب -مثلًا- في كلام الله تعالىٰ، حيث يرتدُّ إلىٰ التعجيب؟؟ ومن مراعاة حال المخاطب حين نخاطب الله تعالىٰ إلىٰ مراعاة حال المتكلم؟؟ ومن تأكيد الكلام مراعاةً لحال المخاطب إلىٰ مراعاة حال الكلام نفسه من تفخيمه وتعظيمه؟؟ كما قال ابن حجر -مثلًا- في دواعي التوكيد: «وَقَدْ يَكُونُ التَّأْكِيدُ مِنْ جِهَةِ أَنَّ الْقَضِيَّةَ **فِي نَفْسِهَا** مِمَّا يُهْتَمُّ بِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُنْكِرٌ»[(٢)] ودلالات كهذه كثيرة في مهايع العربية الرقيقة؟؟

فما المانع من أن ترتدَّ دلالة «**ها**» التنبيه من تنبيه المخاطب إلىٰ تنبيه المتكلم واستثارة أحاسيسه هو دون المخاطَب، وربط الدلالة بفورة نفسه وثورة أحاسيسه، أو ضغط عنصر الوقت انكسارًا أمام السؤال الإنكاري؟؟

ويعلل الدكتور السامرائي لإسقاط «**ها**» التنبيه هنا بأن المتحدَّث عنهم غير مشاهدين، فيقول: «وقد لا يَحتاج الموقف إلىٰ التنبيه؛ فلا يذكره وذلك نحو قوله تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام مخاطبًا ربه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾، **فلم يأت بالتنبيه لأنهم غير مشاهدين**»[(٣)].

---

(١) الشعراوي: محمد متولي (المتوفىٰ: ١٤١٨هـ): تفسير الشعراوي- الخواطر ١٨/ ١٠٩٨٥ ط. مطابع أخبار اليوم د.ت.

(٢) العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ٧٤ ط. دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) السامرائي، معاني النحو ١/ ٩٩.

وقد رأيتَ من خلال التحليل أن تلك العلَّة تنافي غرضَ موسىٰ ﷺ أصلًا؛ إذ يصرح بأنهم «هم هؤلاء قريبًا مني»(١)، ويكاد يقول: إنهم معي هنا يا رب، علىٰ أثر خُطاي قبل طمس معالمها، كما نبه المفسرون إلىٰ تمثيل قربهم بالمعنىٰ اللغوي للأثر، بل من العلماء من صرح بالمعيَّة فقال: «﴿قَالَ هُمْ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي﴾: أي هم معي، وإنما سبقتُهم بخُطًىٰ يسيرة، ظننت أنها لا تُخلُّ بالمعيَّة ولا تقدح في الاستصحاب»(٢).

ولعلك الآن توافقني علىٰ استبعاد تأويل (علىٰ أثري) بقول الحسن وقتادة: «تركتهم علىٰ ديني وسبيلي»(٣)؛ ذلك أن مقام اللوم من الله تعالىٰ بالإعجال دون القوم ودفعَ اللوم من موسىٰ ﷺ يقتضيان من موسىٰ ﷺ التأكيدَ علىٰ قربهم مكانًا وزمانًا، لا منهجًا وديانة، والله تعالىٰ أعلم.

وقال أيضًا: «وقد **لا يحتاج الموقف إلىٰ التنبيه** فلا يذكره، وذلك نحو قوله تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ ﷺ مخاطبًا ربَّه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٨٣ قَالَ هُمۡ أُولَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ﴾»(٤).

إذن أُسقِطتْ «ها» التنبيه عند الشيخ لأن المقام «**لا يحتاج إلىٰ التنبيه**»،

---

(١) ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (المتوفى: ١٢٢٤هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٤٠٩، ت. أحمد عبد الله القرشي رسلان. نشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة ١٤١٩هـ.

(٢) التناري، مراح لبيد لكشف معنىٰ القرآن المجيد ٢/ ٣٣.

(٣) الماتريدي، تأويلات أهل السنة ٧/ ٢٩٩.

(٤) السامرائي، معني النحو ١/ ٩٩.

وأنا أتساءل: أيُّ تنبيه هنا -ولو على سبيل النفي- والمخاطَب هو الله تعالىٰ؟!، بل ليس إلا التلطُّف من نبي الله تعالىٰ موسىٰ عليه السلام، واعتذار وتودُّد وانكسار في تبرير الخطأ -الذي تورَّط فيه بحسن نية-.. ألا ترىٰ إلىٰ سؤال الله تعالىٰ إياه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟؟ فأشعره عليه السلام بالخطأ في العجلة، فجنح عليه السلام إلىٰ تهوين الأمر بأن قومه «**أولاء**» قريبون، ثم دعم بقوله: (**علىٰ أثري**)، فنزه عليه السلام العبارة مما يناقض ذلك المعنىٰ.. وإلا فهل يتسق المعنىٰ مع «**ها**» التنبيه الباعثة للضجيج المشعرة ببُعد القوم وانتشارهم فيقال -في غير القرآن الكريم-: **ها هم هؤلاء علىٰ أثري**، كما سبق بيانه؟؟ وهل يتسق (**علىٰ أثري**) مع «**ها**» بغض النظر عن دلالة التنبيه وما ينبعث منها من سوء أدب مع الله تعالىٰ كما يقول العلماء[1]؟!

لا شك أن إسقاط الـ«**ها**» هنا واجب لغوي وفرض بلاغي، تقتضيه الحكمة البيانية، من جهة التلطُّف في تبرير الخطأ في حضرة الرب ﷻ، كما هو واجب شرعي يقتضيه مقام التأدب مع الله ﷻ.

وقد فسر ابن الجوزي «**أولاء**» بـ«هؤلاء» فقال: «﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ﴾ أي: هؤلاء عَلىٰ أَثَرِي»[2] والبون بينهما شاسع كما علمت.

وقد أغفل العلامة ابن عاشور -وهو مَن هو ذوقًا وحِذقًا- أسرارَ إسقاط الـ«**ها**» من «**أولاء**» واكتفىٰ بأنه «اسْتُعْمِلَ تَرْكِيبُ «**هُمْ أُولاءِ**» مُجَرَّدًا عَنْ حَرْفِ التَّنْبِيهِ فِي أَوَّلِ اسْمِ الْإِشَارَةِ خِلَافًا لِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ﴾،

(١) الشعراوي، الخواطر ١٨/ ١٠٩٨٥.

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير ٣/ ١٧٠.

وَتَجْرِيدُ اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنْ هَاءِ التَّنْبِيهِ **اسْتِعْمَالٌ جَائِزٌ**»(١).

وقد نظر الشيخ أبو زهرة إلىٰ اسم الإشارة «**أولاء**» من حيث إسقاط كافِ الخطاب من آخره، لا من حيث إسقاط «**ها**» التنبيه من أوله، فقال: «أشار إليهم، ولم يأت بـ(**كاف**) الخطاب تأدبًا مع الله، ولأنه سبحانه العليم فلا يحتاج إلىٰ تنبيه بها؛ إذ هو يخاطِب العليم الخبير»(٢) ولم أر مَن نحا هذا النحو غيره رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٦/ ٢٧٧.

(٢) أبو زهرة، زهرة التفاسير ٩/ ٤٧٦٦.

الخَاتِمَةُ

وبعد هذه الرحلة الميمونة المباركة في معيَّة «**ها**» التنبيه المتعلقة باسم الإشارة «**أولاء**» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم إثباتًا وإسقاطًا يَطيب لي أن أسجِّل ما تمخَّض عنه البحث من ملحوظات أرجو لها القبول:

- أُثبِتت «**ها**» التنبيه مع اسم الإشارة «**أولاء**» المسبوق بالضمير في **أربعة مواضع** من الذِّكْر الحَكيم، وأسقِطت في **موضعين؛ فمجموع مواضع الدراسة ستة مواضع**، وجاءت الـ«**ها**» متفاعلة متناغمة الدلالة مع المقام والسياق والغرض أتم التفاعُل حيث أُثبتت وحيث أُسقطت، علىٰ النحو الذي رأيناه خلال التحليل.

- تغايُر أحوال «**ها**» التنبيه دخولًا علىٰ «**أولاء**» بعد الضمير إثباتًا وإسقاطًا يقضي بِتضمُّنِها **أسرارًا بلاغية**، ويقطع باحتضانها **أنوارًا دلالية** حيث أثبِتت وكذلك حيث أسقِطت، وإلا لاطَّردت علىٰ وتيرة واحدة إما إثباتًا وإما إسقاطًا في المواضع جميعها، وحيث لم تَطَّرد علىٰ وجهٍ واحدٍ فقد ثبت وراء ذلك أغراضٌ قُصِد أنْ يُحقِّقها إثبات الـ«**ها**» حيث أُثبتت، كما قصِد أن يُحقِّقها إسقاطها حيث أُسقطت، فهي للتنبيه أثبتت أو أسقطت، فلـ«**ها**» التنبيه مع «**أولاء**» من حيث الإثبات والإسقاط أحوال يحسمها المقام ويقتضيها الغرض.. والتنبيه في كل مقام بحسبه، ويأتي دور التحليل البلاغي لكشف وجهات التنبيه، وإظهار إشاراته في كلا الحالين.

- «**التنبيه**» بمعناه اللغوي الحرفِيِّ الضيِّق المُشعر بغفلة المخاطَب يعد أضيق دلالات الـ«**ها**»، فقد وردت مفعمة بالدلالات، غنيَّة بالإشارات التي تغذو الغرض،

وتمدُّ السياق بزخَم هائل من اللطائف البارعة في سياقاتها كما اتضح في شواهد المبحث الأول، وتأتي الإشارة إليه في بقية النتائج.

- أُثبِتت «ها» التنبيه دخولًا علىٰ اسم الإشارة «أولاء» الواقع بعد الضمير في الذِّكْر الحَكيم إثباتًا وإسقاطًا **تحقيقًا لأغراض منشودة، ونشرًا لإشارات ودلالات مقصودة**، منها التغلغل في النفوس المخاطَبة وسبر أعماقها؛ كشفًا لِما تنطوي عليه من دخائل مستورة، وما تطبِّبه من أمراض متجذِّرة.. بحيث تفوت تلك الإشارات وتضيع تلك الدلالات لو جُرِّدت تلك المواضع منها.

- جاءت «ها» التنبيه مع «أولاء» إثباتًا **تشنيعًا** علىٰ المخاطبين بها، و**تفظيعًا** لخطئهم، و**تحقيقًا** لجريمتهم، و**تقريرًا** لخطإ اعتقادهم، و**زجرًا** لهم عن مثله، و**حضًّا** لهم علىٰ التحلي بضده.

- غابت «ها» التنبيه عن «أولاء» -الواقعة بعد الضمير- **تلطُّفًا** في الاعتذار، و**تودُّدًا** في الاسترضاء، أو **تصويرًا لوجدان، وكشفًا لخبايا نفوس**.

- ظهر جليًّا أن «ها» التنبيه لازمت اسم الإشارة «أولاء» حيث عالج السياقُ **ضجيجَ الجدال والحِجاج واللجاج**، وبخاصة الحجاج الباطل والجدال الخاطئ، كما تنطق تلك المواضع.

- غابت «ها» التنبيه عن الإشارة «أولاء» في مقامات **المواءمة والمواددة والملاطفة**، حيث الرغبة في إشاعة أجواء التلطف في الخجل والاعتذار، وفي مقام العتاب بتصوير الشعور بالسكينة والرضا والقبول والتحبُّب والتقرُّب إلىٰ الأعداء في غير مظنته، وتلك واللتان قبلها من أغلىٰ ما وضَع البحثُ يدَه عليها، وجلَّاها وأراها مرتِّلَ الذِّكْر الحَكيم من نتائج.

- رأينا أن «**التنبيه**» أحيانًا يكون بإسقاط «**ها**» التنبيه، لأن إسقاطها حينئذ يلفت بقوة إلىٰ إشارات مقصودة كامنة خلف إسقاطها، فيقوىٰ حال إسقاطها من «**أولاء**»، ويصير أجلىٰ وأبلغ مما يثيره إثباتها من تنبيه، وعلىٰ هذا يكون لكل مقام -إزاء «**ها**» التنبيه- مقتضًىٰ من إثباتها أو إسقاطها.

ثبت المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفي: ٧٤٥هـ): ت. صدقي محمد جميل ط. دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢- زهرة التفاسير، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد المعروف (المتوفىٰ: ١٣٩٤هـ): ط. دار الفكر العربي، د.ت.

٣- الموسوعة القرآنية، الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (المتوفىٰ: ١٤١٤هـ): ط. مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.

٤- معاني القرآن للأخفش، الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي: ت. الدكتورة هدىٰ محمود قراعة. ط.١ مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٥- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ): ت. عبد الرزاق المهدي. ط.١ دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٢هـ.

٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر: (المتوفي: ١٣٩٣هـ) ط. الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤هـ.

٧- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني (المتوفىٰ: ١٢٢٤هـ): ت. أحمد عبد الله القرشي رسلان. نشر: الدكتور حسن عباس زكي- القاهرة، ١٤١٩هـ.

٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): ت. عبد السلام عبد الشافي محمد ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): ت. سامي بن محمد سلامة. ط.٢ دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠- لسان العرب، باب الحاء، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: ط.٣ دار صادر- بيروت، ١٤١٤هـ.

١١- شرح المفصل، ابن يعيش الموصلي، يعيش بن علي بن يعيش (المتوفى: ٦٤٣هـ): تقديم الدكتور إميل بديع يعقوب. ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (المتوفى: ٦٨٥هـ): ت. محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤١٨هـ.

١٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ): ت. الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط.١ دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٤١٨هـ.

١٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ): ت. الإمام أبي محمد بن عاشور، ط.١ دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٥- دلائل الإعجاز في علم المعاني، الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ): ت. محمود محمد شاكر أبو فهر. ط.٣ مطبعة المدني بالقاهرة- دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

١٦- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو

بكر: ط.٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٧- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (المتوفى: ٧٩٥هـ): جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، ط.١ دار العاصمة- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٨- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، الحنبلي، نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي (المتوفى ٧١٦ هـ): ت. محمد حسن محمد حسن إسماعيل، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٩- التفسير القرآني للقرآن، الخطيب، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ): ط. دار الفكر العربي- القاهرة. د. ت.

٢٠- إعراب القرآن وبيانه، درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفي: ط.٤ دار الإرشاد للشئون الجامعية- حمص- سورية، (دار اليمامة- دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير- دمشق- بيروت)، ١٤١٥هـ.

٢١- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ): ط.٣ دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٢- تفسير القرآن العظيم، الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ): ت. أسعد محمد الطيب، ط.٣ مكتبة نزار مصطفى الباز- المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

٢٣- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ): ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): ط.٣ دار الكتاب العرب- بيروت، ١٤٠٧هـ.

٢٥- المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ): ت. د. علي بو ملحم، ط.١ مكتبة الهلال- بيروت، ١٩٩٣.

٢٦- معاني النحو، السامرائي، د. فاضل صالح: ط.١ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- الأردن ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.

٢٧- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي علىٰ تفسير البيضاوي)، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): ط. جامعة أم القرىٰ- كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراه ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٥م).

٢٨- تفسير الشعراوي- الخواطر، الشعراوي: محمد متولي (المتوفى: ١٤١٨هـ): ط. مطابع أخبار اليوم د.ت.

٢٩- فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (المتوفى: ١٢٥٠هـ): ط.١ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت ١٤١٤هـ.

٣٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، محمد سيد: ط.١ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة ١٩٩٨م.

٣١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي: ط. دار المعرفة- بيروت، ١٣٧٩هـ.

٣٢- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ): ت. د/ عبد الحميد هنداوي. ط.١ مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- مصر/ القاهرة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٣- الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): ت. إبراهيم

البسيوني. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر د.ت.

٣٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ): عني بطبعهِ وقدَّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، ط. المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا- بَيروت ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

٣٥- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: ت. عدنان درويش- محمد المصري، ط. مؤسسة الرسالة. بيروت ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٣٦- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ): ت. د/ مجدي باسلوم. ط.١ دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٣٧- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ): ت. د فخر الدين قباوة- الأستاذ محمد نديم فاضل، ط.١ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.

٣٨- تفسير القرآن، المروزي، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد (المتوفى: ٤٨٩هـ): ت. ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم. ط.١ دار الوطن، الرياض- السعودية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

References and Sources

- **The Holy Quran**

1. Abo Hayan, Mohammed bin Yousef bin Ali bin Yousef bin Hayan Athiruddin Alandalusi: Albahrul' Muheet fi Attafseer", (Died: 745 AH), investigated by: Sedqi Mohammed Jamil, Dar Alfikr Edition, Beirut, 1420 AH.
2. Abo Zahra, Mohammed bin Ahmed bin Mustafa bin Ahmed Almarouf (Died: 1394 AH), Zahrat Attafaseer, Dar Alfikr Edition, Beirut, 1420 AH.
3. Al Akhfash Al Awasat, Abo Alhassan Almujashei: Maani Al-Quran", invistgated by: Dr. Huda Mohammed Quraa, 1st Edition, Al-Khannji Bookstore, Cairo 1411 AH 1990 G
4. Ibn Aljawzi, Jamaluddin Abo Alfarag Abdurrahman bin Ali Mohammed Al-jawzi (Died: 597 AH): Zad Almaseer fi Elm Attafseer, investigated by: Abdu-rrazak Almahdi, 1st Edition, Dar Al-Kitab Alarabi, Beirut 1422 AH.
5. Ibn Ashour, Mohammed Atahir bin Mohammed bin Mohammed Attahir (Died: 1939 AH) Attahrir wa Attanwir "editing the accurate meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the Holy Quran" Tuni-sian Publishing House, Tunisia, 1984 G.
6. Ibn Ajeebah, Ahmed bin Mohammed bin Almahdi bin Ajeebah Alhassani (Died: 1224 AH):Albahrul' Madeed fi tafseer Al-Quran Al-Majeed, investi-gated by Ahmed Abdullah Alqurashi Raslan. Published by: Dr. Hassan Abbas Zaki – Cairo 1419 AH.
7. Ibn Attiah, Abo Mohammed Abdul Haq bin Ghalib Bin Abdurrahman bin Tammam Alandalusi Almuharibi (died: 542 AH) Almoharrir Alwajeez fi Taf-seer Alkitab Alaziz" investigated by Abdussalam Abdu'Shafi Mohammed, Dar Alkotob Alelmiah, Beirut.

8. Ibn Katheer, Abo Alfidaa Ismail bin Omar bin Katheer Alqurashi Albasri Aldemashqi (Died: 774 AH): Tafseer Alquran Alazeem, investigated by: Sami Bin Mohammed Salamah, 2nd Edition, Dar Taibah Publishing & Distribution, 1420 AH -1999 AG.

9. Ibn Manzour, Mohammed bin Mokaram bin Ali, Abo Alfadl, Jamaluddin ibn Manzour Alansari, Alrwaifei Alafriqi, Lisanul'Arab, "haa section", 3st edition, Beirut.

10. Ibn Yaish Almawseli, Yaish bin Ali bin Yaish (Died: 643 AH) Sharhul' Mofassal" introduced by Dr. Emil Badei Jacob, 1st Edution, Dar Alkotob Alelmiyah, Beirut, Lebanon, 1422 AH 2001 G.

11. Albaidawi, Nasseruddin Abo Saeed Abdullah bin Omar bin Mohammed Alsherazi (Died: 685 AH) Anwaru'Tanzeel wa Asraru'Tawil" investigated by: Mohammed Abdurrahman Almarashli, 1st edition, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, 1418 AH.

12. Althalebi, Abo Zaid Abdurrahman bin Mohammed bin Makhlouf Althaalebi (Died: 875 AH)

13. Althalabi, Ahmed bin Mohammed bin Ibrahim, Abi Ishaaq (Died: 427 AH): Alkashf wal Bayan an Tafseer Alquran", investigated by: Dar Ihiaa Alturath Alarabi, Beirut, Lebanon, 1422 AH – 2002 G.

14. Aljerjani, Abo Bakr Abdulqaher bin Abdurrahman bin Mohammed Alfarisi Aljerjani(Died: 471): Dalailu Alejaz fi elm almaani, investigated by Mahmoud Mohammed Shaker Abo Fehr, 3rd edition, Almadani Publishing Cairo, Jeddah: Dar Almadani Publishing, 1413 AH – 1992 AH.

15. Aljazaeri, Jaber bin Mossa bin Abdulqader bin Jaber Abo Bakr: Aysaru' Tafasfeer li'Kalam Al' Ali Alkabeer, 5sth edution, Aloloom Wal Hikam Bookstore, Medina, Kingdom of Saudi Arabia, 1424 AH, 2003.

16. Alhanbali, Zainuddin Abdurrahman bin Ahmed. (Died:795 AH) Rawaei Attafseer (Aljamei Litafseer Alimam ibn Rajab Alhanbali) gathered and ordered by: Abi Muaz Tareq bin Awadullah bin Mohammed, 1st edition, Dar Alase-

mah, Kingdom of Saudi Arabia, 1422 AH – 2001 G.

17. Alhanbali, Najmuddin Abi Alrabei Sulaiman bin Abdulqawi bin Abdulkareem Altwfi (Died: 716 AH), Al-Esharat Al-Elahyah Ela Al-Mabahith Al-Osoliyah, investigated by: Mohammed Hassan Mohammed Hassan Ismail, 1st edition, Dar Alkotob Alelmyah, Beirut, Lebanon, 1426 AH – 2005 G.
18. Alkhateeb, Abdulkareem Younes Alkhateeb (Died: after 1390 AH), Quranic Interpretation of the Holy Quran", Dar Alfikr Alarbi, Cairo, without date.
19. Darwish, Mohey Addin bin Ahmed Mustafa: Erab Alquran Wa Bayanoh, 4th edition, Dar Alershad for University Affairs, Hems, Syria, (Dar Alyamamah, Damascus, Beirut), (Dar ibn Katheer, Damascus, Beirut) 1415 AH.
20. Arrazi, Abo Abdullah Mohammed bin Omar bin Alhassan bin Alhusain Al-taymi Arrazi called Fakhruddin Arrazi, preacher of Arrai (Died: 606 AH): Ma-fateeh Alghaib (Attafseer Alkabeer), 3rd edition, Dar Ihia Atturath Alarabi, Beirut, 1420 AH.
21. Arrazi, Abo Mohammed Abdurrahman bin Mohammed bin Idris bin Almon-zer Altamimi, Alhanzali, ibn Abi Hatm (Died: 327 Ah): Tafseer Alquran Ala-zeem" investigated by: Assad Mohammed Attaib, 3rd edition, Nezar Mustafa Albaz Bookstore, Kingdom of Saudi Arabia, 1419 AH.
22. Reda Mohammed rashid bin Ali reda bin Mohammed Shamsuddin Alqala-moni Alhusaini (Died: 1354) Tafseer Alquran Alhakeem (Tafseer Almanar), published by Public Egyptian Book Authority, 1990 G.
23. Azzamakhshari, Abo Alqassem Mahmoud bin Amr bin Ahmed Jarullah (Died: 538 AH) Alkashaf An Haqaik Ghawamd Attanzil, 3rd Edition, Dar Alkitab Alar-abi, Beirut, 1407 AH.
24. Azzamakhshari, Abo Alqassem Mahmoud bin Amr bin Ahmed Jarullah (Died: 538 AH) Almofasal fi Sanatul Erab, Ali Abo Melhem, 1st edition, Alhelal Book-store. Beirut, 1993 G.
25. Assamerai, Dr. Fade; Saleh: Synatx Meanings, 1st edition, Dar Alfikr Pubish-

ing and Distrbution, Jordan, 1420 AH, 2000 G

26. Assyoti, Abdurrahman bin Abi Bakr, Jalaluddin Assyoti (Died: 911 AH), Nawahd Alabkar wa Shawarid Alafkar (Assyoti annotation on Albaydawi interpretation), Umm Alqura edition, College of Call & Religion Fundamentals, Kingdom of Saudi Arabia, (3 PhD theses, 1424 AH – 2005 G)
27. Aharawi, Mohammed Metwali (Died: 1418 AH) Tafseer Alsharawi, Alkhawater, Akhbar Alyoum Press, without date.
28. Ashawkani, Mohammed bin Ali bin Mohammed bin Abdullah (died: 1250 AH): Fathul Qadeer. 1st edition, Dar Ibn Katheer, Dar Alkalim Attayyb, Damascus, Beirut, 1414 AH.
29. Tantawi, Mohammed Sayed: Attafseer Alwaseet lilkuran Alqareem, 1st edition, Dar Nahdat Misr Publishing, Alfajalah, Cairo, 1998G.
30. Alaqalani, Abul Fadl Ahmed bin Ali bin Hajar. (1379 H) Fathulbari Sharhu Sahahi Albukhari. Beirut edition: Dar Al-Marifah, Beirut, 1998 G.
31. Alokbari, Abo Albaqa Abdullah ibn Alhussain ibn Abdullah Albaghdadi Mohebu Eddin (Died: 616 AH) Erab ma Yashkolu min Alfaz Alhadith Annabwi, investigated by: Abdulhameed Hendawi, 1st edition, Almokhtar Publishing & Distrbution, Egyot, Cairo, 1420 AH- 1999 G.
32. Alqurtobi, Abo Abdellah Mohammed bin Ahmed nom Ano Nalr ibn Farah Alansari Alkhazraji Shamsuddin Alqurtubi (Died: 671 AH) Aljamei li Ahkam Alquran "Tafseer Alqurtubi" investigated by:: Ibrahim Albasyoni, published by Public Egyptian Book Authority.
33. Alqannoji, Abo Attayb Mohammed Seddiq Khan bin Hassan bin Ali ibn Lotfullah Alhussaini Albukhari (died: 1307 AH) Fathul Bayan fi Makased Alquran, published, introduced, and reviewed by Abdullah ibn Ibrahim Alansari, Modern Bookstore Publsishing & Distribution, Saida, Beirut, 1412 AH-1992 G.
34. Alkafwi, Abo Albaqa Ayoub bin Mossa Alhussaini: Alkolyyat; Lexicon of Linguistic Idioms and Differences, investigated by: Adnan Darwish, Arresalah

Est. Beirut, 1419 AH-1992 G.

35. Almaturidi, Mohammed bin Mohammed bin Mahmoud, Abo Mansour Almatoridi, (Died: 323 AH): Tafseer Almatoridi (Tawilat Ahlu Sunna), investigated by: Magdi Basalwom, 1st edition, Dar Alkotob Alelmiayh, Beirut, Lebanon, 1426 AH – 2005.

36. Almoradi, Abo Mohammed Badruddin Hassan bin Qasse m bin Abdullah bin Ali Almesri Almalki (died: 749 AH) Aljaniu Dani fi Hrorof Almaani, investigated by: Fakhruddin Kabawah, Prof. Mohammed Nadeem Fadel, 1st edition, Dar Alkotob Alelmiayh, Beirut, Lebanon, 1413 AH – 1992 G.

37. Almarwazi, Abo Almozaffar, Mansour bin Mohammed bin Abduljabbar ibn Ahmed (died: 489 AH) Tafseer Alquran, investigated by: Yasser ibn Ibrahim ad Ghanim bin Abbas ibn Ghanim, Daw Alwatan, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1418 AH -1997 AH.

فهرس الموضوعات

المستخلص..... ٣١٣
المقدمة..... ٣١٧
التمهيد: مفهومُ التنبيه، وهاؤه، وأغراضه، وموضعه في التراكيب العربية... ٣٢١
المبحث الأول: الإيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ «ها» التَّنْبِيه إِثْبَاتًا مَعَ اسم الإشارة «أُولَاءِ» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم..... ٣٢٧
المبحث الثاني: الإيحَاءُ البَلَاغِيُّ لِـ «ها» التَّنْبِيه إسقاطًا من اسم الإشارة «أُولَاءِ» المسبوق بالضمير في الذِّكْر الحَكيم..... ٣٥٤
الخاتمة..... ٣٧٣
ثبت المصادر والمراجع..... ٣٧٦
رومنة المصادر والمراجع..... ٣٨١
فهرس الموضوعات..... ٣٨٧

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

Part Two

TADABBUR MAGAZINE Index:

- Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran
  Dr. Saleh Thunayan Al- Thunayan
- Turning Away From Al-Laghw is one of the Good People Features Allah (Glory Be to Him) said: And those who turn away from Al-Laghw (dirty, false, evil vain talk, falsehood, and all that Allah has forbidden). (Surat Al-Mominun: 3)
  Dr. Roqaiyah Mohammed Salem Baqais
- Explaining Scholar Al-Al-Habti›s Stops (Died in 930 AH) Objected by Sheikh Al-Ghamari (Died: 1413 AH)
  Dr. Talal Ahmed bin Ali bin Mohammed
- Convenience between Surat Attakathur and Al-Asr and Its Psychological and Educational Effect
  Prof Dr. Amal Ismail Saleh Saleh
- Rhetoric Inspiration of Mentioned & Omitted "Ha" in "Aowlae" After Pronouns in the Holy Quran
  PROF Dr. Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed
- Thesis Report «Effect of Contemplating The Holy Quran on Enhancing Professional Liability among Female Preachers» Field Study on Female Teachers of the Holy Quran in Riyadh
  MS. Raniah M. Ali Al-Kenel
- Report about Academic Quranic Project entitled "Hayat Foundation for Contemplating the Holy Quran"

25 SR
1658-7642